التفسير الجامع

فضيلة الشّيخ الدّكتور محمّد عبد السّتّار السّيّد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

القرآن الكريم معجزةٌ خالدةٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وعطاؤه متجدّدٌ لا ينفد، وكلّما تطوّر العقل البشريّ استطاع أن يستمدّ من القرآن الكريم وعلومه ما يوافق التّطوّر العلميّ الّذي وصل إليه.

وآيات القرآن الكريم مكتنزةٌ بعطائها العلميّ والفكريّ والرّوحيّ، وهو كتاب هدايةٍ فيه إشاراتٌ علميّةٌ لا يمكن أن تُصادم العقل البشريّ في أيّ زمنٍ من الأزمان.

وهذا التّفسير هو محاولة تدبّرٍ لآيات كتاب الله امتثالاً لأمره ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد]، متمسّكين بهدي نبيّنا محمّد ﷺ، فهو الّذي عليه نزل وبه أخذ وعمِل، فقد كان ﷺ قرآناً يمشي بين النّاس في نهجه وسيرته وسلوكه وهديه وأقواله وأفعاله وبالعلم الّذي به أمر ﷺ.

فكان هذا التّفسير الجامع محاولةً عصريّةً للأخذ من عطاء القرآن الّذي لم يفرغ في زمن النّزول، وإنّما تعدّى كلّ العصور، ومواكبةً لتطوّر العقل البشريّ ومعطيات العلم الحديث في فهم النّصّ من خلال التّفكّر والتّعقّل والتّدبّر الّذي أمر به القرآن الكريم: (أفلا يعقلون، أفلا يتفكّرون، أفلا يتدبّرون، أفلا ينظرون). والله وليّ التّوفيق

الشّيخ الدكتور محمّد عبد الستّار السيّد

الجُزءُ السَّابع

سورة المائدة من الآية (٨٢–١٢٠)

سـورة الأنعـام من الآية (١–١١٠)

(الآية ٨٢) - ﴿*لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾:

﴿*لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾: العداوة: هي الخصومة الشّديدة المملوءة بالحقد، والّتي تؤدّي إلى القتل وكلّ أنواع الأذى.

فذكر أوّلاً اليهود، ثمّ الّذين أشركوا، أليس من المستغرب أنّه عندما نزل القرآن الكريم قدّم اليهود -وهم أهل الكتاب- بالعداوة على المشركين -وهم عبدة أصنام-؟ فقد مرّ منذ نزول القرآن الكريم إلى الآن أكثر من ألفٍ وأربعمئة عامٍ أثبتت بأنّه صدق: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٥]، فعندما أنزل الله ﷻ القرآن الكريم على قلب النّبيّ ﷺ هو يعلم ما كان منهم وما سيكون، فهُم على عدائهم منذ ذلك الوقت إلى هذه اللّحظة، وكلّ ما يجري في المنطقة العربيّة وفي باقي دول العالم من حقدٍ وتكفيرٍ وإرهابٍ واعتداءٍ بمسمّياتٍ إسلاميّةٍ كان وراءها اليهود، وكلّما أشعلوا ناراً للحرب أطفأها الله ﷻ، لذلك قال ﷻ: ﴿*لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾، وصدق الله ﷻ؛ لأنّهم أشدّ من المشركين عداوةً للمؤمنين.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾: العلاقة الّتي صاغها القرآن الكريم هي علاقة المودّة، وهي أكبر من كلّ العلاقات

الإنسانيّة، وهي الّتي تربط المسلمين بالنّصارى.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾: قسّيسين: جمع قسّ، وهو المتفرّغ للعلم الربّانيّ، لعلم الإنجيل.

رهباناً: هم المتفرّغون للعبادة.

﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: فمن تعاليم الإنجيل: من ضربك على خدّك الأيمن فدِر له الأيسر، فأحكامهم الّتي جاء بها المسيح عليه السلام تتعلّق بالمودّة والرّحمة والسّلام، وفيها من التّواضع الشّيء الكثير.

وهذا ما أثبتته الوقائع الآن، وعبر التّاريخ، وفي أيّام النّبيّ ﷺ عندما جاءه وفد نجران من النّصارى، أدخل رجال الدّين المسيحيّ بصلبانهم إلى المسجد النّبويّ وخلع رداءه وأجلسهم وكرّمهم.

وعندما حُوصر المسلمون في شعب أبي طالب، وأُوذوا وظُلموا أمرهم النّبيّ ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فقال: «**لو خرجتم إلى أرضِ الحبشة، فإنّ بها مَلِكاً لا يُظلَمُ عنده أحدٌ**»[1]، لجؤوا إلى النّجاشيّ الّذي كان نصرانيّاً فحمى المسلمين من اضطهاد المشركين في ذلك الوقت، وعندما لحق عمرو ابن العاص ومعه بعض المشركين بالمسلمين، وقد كان صديقاً حميماً للنّجاشيّ، حدّثه أنّ هؤلاء المسلمين يسفّهون آلهتهم ويقولون كذا وكذا، والقرآن يقول عنكم: إنّكم كفرة، وغير ذلك من الأمور، ووضع أمامه هذه المعطيات، فما كان من النّجاشيّ إلّا أن طلب من المسلمين أن يتقدّم منهم

(١) الرّوض الأنف: ج٢، ص ٩٠.

أحدٌ ليتحدّث، فتقدّم جعفر بن أبي طالب ﷺ أخو سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه فقال: أيّها الملك، كنّا أهل جاهليّةٍ نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونئِدُ البنات ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القويّ منّا الضّعيف، كنّا على ذلك حتّى بعث الله فينا محمّداً رسولاً عرفنا نسبه وصدقه وأمانته وعفّته، فقال النّجاشيّ: ماذا طلب منكم؟ فقال جعفر بن أبي طالب ﷺ: طلب منّا أن نوحّد الله ونعبده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان قال النّجاشيّ: بماذا أمركم؟ فقال جعفر: أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرّحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدّماء ونهانا عن الفواحش وقول الزّور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا بالصّلاة والزّكاة، فقال: والله لا تظلمون عندي أبداً. فعندما تحدّث سيّدنا جعفر ﷺ عمّا أمر به النّبيّ ﷺ لم يأت على نقطة الخلاف العقائديّة، وإنّما جاء على الأوامر السّلوكيّة: حسن الجوار وعدم أكل مال اليتيم وعدم قذف المحصنات والكذب والافتراء والقتل وعدم ارتكاب المحرّمات وعدم وأد البنات وأداء الأمانة وصدق الحديث.. هذا الّذي يجمع الأديان، الأخلاق والقيم، هذه القيم الضّابطة الّتي تجمع ولا تفرّق، أمّا في العقيدة فالله ﷻ هو الّذي يحاسب النّاس على عقائدهم.

(الآية ٨٣) - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾:

هذه الآية معطوفة بالواو على الآية السّابقة، فالعطف على القسّيسين والرّهبان. ذكرت سابقاً أنّ الله ﷻ حدّد للأمّة مسار العداوة فقال: أشدّ النّاس عداوةً هم اليهود أوّلاً وبشكلٍ رئيسيّ، وهذا مصداق ما نراه في هذه الأيّام، فمنذ نزول الرّسالة على قلب المصطفى عليه الصّلاة والسّلام والتّآمر اليهوديّ الصّهيونيّ مستمرٌّ وبأشكالٍ مختلفةٍ وبتواطؤٍ عربيّ وغربيّ، لذلك قرنهم المولى ﷻ في هذه الآية مع اليهود، وقدّم اليهود على الّذين أشركوا، ولكنّ الله ﷻ أراد أن يفرّق بين أهل الكتاب فيما يتعلّق بالعلاقة مع المسلمين، فوضع العلاقة بين المسلمين والمسيحيّين في إطار المودّة، وهي أعظم الأطر الّتي يمكن أن تؤخذ بين النّاس.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾: سبق القرآن الكريم العلم الحديث فيما يتعلّق بأحوال النّفس وأثرها على وظائف الأعضاء، فممّا يتعلّق بعلم النّفس: الإدراك والوجدان والنّزوع، فبيّنها المولى تبارك وتعالى في هذه الآية بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ﴾، أي أدركوا بحاسّة السّمع، وهي إحدى وسائل الإدراك، والّتي تضمّ السّمع والبصر والحسّ واللّمس.. ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ تحرّك الوجدان بالنّسبة للدّمع إمّا أن تغرورق العين بالدّمع وإمّا أن تفيض أي تمتلئ، وهذا هو النّزوع.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: اكتبنا مع الشّاهدين الّذين يشهدون يوم القيامة على هذا الإيمان وعلى هذا الرّسول الكريم.

(الآية ٨٤) - ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾:

﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾: أي على لسان المسيح عليه السلام في الإنجيل.

﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: دائماً كلمة الطّمع بالحقّ هي من الحسنات ومن الأمور الصّالحة، وكذلك أن نطمع في دخول الجنّة مع أولئك الّذين أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم من النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً.

(الآية ٨٥) - ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾:

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾: فكان الثّواب على ما قالوا، ولكن هل يُثاب الإنسان ويدخل الجنّة بالقول أو بالعمل؟ هنا القول كلمةٌ لها وزنٌ، كلمة الإيمان، أي أنّهم آمنوا إيماناً حقيقيّاً بموجبات الإيمان، فالله سبحانه وتعالى أثابهم بما قالوا؛ لأنّهم عملوا بما قالوا، فهذه الكلمة لها وزنٌ؛ أي أنّها مشبعةٌ بالعمل الّذي يؤيّد هذا القول.

والثّواب هو: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الجنّة من جَنّ: أي استتر، والجنّات هي مثل الحدائق كثيفة الأشجار.

وعندما يتحدّث الله سبحانه وتعالى عن الجنّة يقول: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرّعد: من الآية ٣٥]، أي أنّ هذه الصّفات الّتي يعطيها المولى سبحانه وتعالى للجنّة ونقرؤها في القرآن الكريم دقيقةٌ بالنّسبة لنا، ولكنّها ليست كما نعتقد

في الدّنيا؛ لأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ**»[1]، فلا تستطيع أن تتصوّر شيئاً لم تكن تراه ولا تعرفه، لذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾، فعندما يقول: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فهل الجنّات كجنّات الدّنيا؟ وهل الأنهار كأنهار الدّنيا؟ الجواب: بالتّأكيد لا.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: هناك خلود فلا موت بعد ذلك.

﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: لأنّ الإحسان كما عرّفه النّبيّ ﷺ: «**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»[2]؛ أي أنّ العبادة مرتبطةٌ بالرّقابة، والعبادة هي طاعةٌ عاقلةٌ؛ أي أنّ العقل يدلّ على الإيمان بالله ﷻ وطاعته وطاعة الرّسول ﷺ.

(الآية ٨٦) - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾:

عندما يتحدّث الله ﷻ عن الجنّة وعن المؤمنين وعن المحسنين وعن المتّقين يأتي بالمقابل:

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقة، الحديث رقم (٣٠٧٢).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النّبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السّاعة، الحديث رقم (٥٠).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي ستروا وجود الله ﷻ.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: الصّاحب هو الّذي يختار صاحبه، فهو الّذي اختار الجحيم.

(الآية ٨٧) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾:

الحلال والحرام هما لله ﷻ، وقد فوّض رسوله ﷺ أيضاً بهذا البيان، فصانع الصّنعة وخالقها -وهي الإنسان-، هو الّذي يحدّد مهمّة هذه الصّنعة، ويحدّد ما يحلّ لها وما يحرم عليها، وذلك صيانةً لها، ولله المثل الأعلى، نحن نضرب الأمثال تقريباً للأذهان لا للتّشبيه، فعندما يصنع الإنسان حاسوباً أو سيّارةً أو ثلاجةً... أو أيّ شيءٍ فإنّه يضع دليلاً يبيّن كيفيّة استخدام هذه الصّنعة، فلا يمكنك تشغيلها إلّا وفق ما كتب لك الصّانع حتّى تضمن حُسْن استخدامها، فالّذي صنعها أدرى بها وبما تحتاجه، فما بالك بالإنسان الّذي خلقه الله ﷻ، وحدّد مهمّته في هذه الحياة، وما يصلح له وما يَحرُم عليه؟!، والسّؤال هنا: لماذا خلق الله ﷻ الحرام؟ الحرام موجودٌ لمهمّةٍ أخرى، مثلاً وجود الخنزير ليس لنأكل منه، بل له وظيفةٌ أخرى تتعلّق بالتقاط الجراثيم والدّيدان... إلخ، فالله ﷻ خلَق كلّ خلقٍ وجعل له مهمّةً، فلا تقل: لِمَ خلق الحرام إن لم يردنِ أن أرتكب الحرام؟ الله ﷻ خلق الحرام ليس ليكون بديلاً عن الحلال للإنسان، وإنّما له مهمّةٌ أخرى، والقاعدة الفقهيّة تقول: (الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد

نصٌّ قطعيٌّ للتّحريم)، فالحلال واسعٌ وكثيرٌ، والحرام ضيّقٌ وقليلٌ، فلا يجوز أن نحلّل ما حرّم الله ﷻ، ولا أن نحرّم ما أحلّه ﷻ، لذلك لا يمكن أن نقول مثلاً عن الرّبا: إنّه حلالٌ، والنّبي ﷺ يقول: «**الحلال بيّنٌ والحرام بيّنٌ، وبينهما مُشبَّهاتٌ لا يعلمها كثيرٌ من النّاس، فمن اتّقى المشبَّهات استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشُّبُهات: كراعٍ يرعى حول الحِمى، أوشك أن يُواقِعَه، ألا وإنّ لكلّ مَلِكٍ حِمىً، ألا إنّ حِمى الله في أرضه محارِمُه..**»[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النّبيّ ﷺ يسألون عن عبادته ﷺ، فلمّا أُخبروا كأنّهم تقالّوها فقالوا: أين نحن من النّبيّ ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أمّا أنا فإنّي أصلّي اللّيل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدّهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النّساء فلا أتزوّج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الّذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوّج النّساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي**»[2]، نحن نتّبع الرّسول الكريم ﷺ فيما أحلّ الله ﷻ وفيما حرّمه تبارك وتعالى.

﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: العدوان: هو تجاوز الحدّ

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، الحديث رقم (٥٢).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب النّكاح، باب التّرغيب في النّكاح، الحديث رقم (٤٧٧٦).

والإسراف، فعندما تحرّم ما أحلّ الله ﷻ فكأنّك اعتديت على الحدود الّتي وضعها الله ﷻ، وقد قال ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: من الآية ١٨٧]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٩]، وجاءت هنا: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ الله ﷻ لا يحبّ من يتجاوز الحقوق ومن يعتدي على غيره وعلى ما أحلّ الله ﷻ وما حرّم، فيحلّل ما حرّمه ﷻ.

(الآية ٨٨) - ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾:

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: كلّ ما ينتفع به هو رزقٌ، فالعلم رزقٌ، والجاه رزقٌ، والصّحّة والماء والطّعام.. كلّ ذلك يسمّى رزقاً، لكن هنا يتعلّق بالطّعام.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾: بدأ الحديث بقوله ﷻ: (يا أيها الّذين آمنوا) وانتهى بقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾، وهذا تسويرٌ وإحاطةٌ للطّاعةِ بإيمانين: الإيمان الأوّل المخاطبة بالنّداء، والثّاني بالعمل.

وتقوى الله ﷻ هي الّتي تقي الإنسان من غضب الله ﷻ، وبالتّالي من النّار.

(الآية ٨٩) - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾: جاءت هذه الآية لكلّ ما يتعلّق بالأيمان الّتي يطلقها الإنسان لغواً.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: لا يعاقبكم، فليس هناك عقوبة على اللّغو في الأيمان، ما هو اللّغو؟ هو الشّيء الّذي يجري على اللّسان دون قصدٍ قلبيّ، مثال: والله لا أريد الذّهاب لمكان كذا... هذه أيمان، قسمٌ ويمينٌ، وهذا لغو؛ لأنّه يجري على اللّسان وليس له مرورٌ على القلب وتمكينٌ أو قصدٌ.

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾: عقّدتم وليس عقَدتم، أي تمّ جزم الأمر بالقلب، والثّبات عليه، وعندما قال الله ﷻ عن امرأة العزيز: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ [يوسف: من الآية ٢٣]، لم يقل: غلَقت الأبواب بل قال: غلّقت، أي أحكمت إغلاق الأبواب عن قصد، وهنا عقّدتم كغلّقتم أي هناك إحكامٌ وجزمٌ في القلب على الأيمان، عندها يؤاخذكم الله ﷻ، وله كفّارةٌ، فالمؤاخذة هنا ليست عقوبةً وإنّما كفّارةٌ، وهذا من رحمة الله ﷻ، فإذا حلف إنسانٌ يميناً وهو عاقدٌ ومرّ هذا الأمر في القلب وله قصدٌ قلبيٌّ، ويريد الرّجوع عن اليمين جعل له كفّارةً أي ستراً، فكلّ كلمة كفرٍ تأتي بمعنى السّتر، أي ستر العقوبة بهذه الكفّارة، وفيها زجرٌ للذّنب أو زجرٌ للنّفس وجبرٌ للذّنب.

﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾: أي سترٌ لعقوبة الأيمان. والكفّارة هي ثلاثة أمور:

- الأوّل: ﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾: أن

تُطعم عشرة مساكين من أوسط ما تُطعم أهلك، فلا تنتقي أسوء الطّعام، والوسطيّة هنا للكميّة وللكيفيّة الّتي ستطعم بها والّتي تأكل منها، ﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾: والكسوة كذلك.

– الثّاني: ﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ﴾: هذا كان انطلاقاً لإعلان الإسلام إلغاء العبوديّة، فكلّما حلف إنسانٌ يميناً حرّر رقبةً، هذا تدرّجٌ للتّخلّص من حالة الرّقّ، فقانون العبوديّة الّذي كان سائداً في المجتمعات في ذلك الوقت لا يمكن إلغاؤه بصكٍّ مباشرٍ، وإنّما تمّ إلغاؤه من خلال هذه الكفّارات الّتي قرّرها الإسلام.

– الثّالث: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ﴾: أحد الخلفاء في الأندلس قال للقاضي: إنّه حلف يميناً فسأله ما هي الكفّارة؟ فأجابه: صيام ثلاثة أيّامٍ، فنظر أحد العلماء إلى القاضي وأشار له بيده فلم يردّ عليه، فعندما خرجا من المجلس سأله: لم قلت: ثلاثة أيّام والآية الكريمة واضحة: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ﴾؟ فنظر إليه القاضي وقال للعالم الّذي سأله هذا السّؤال: نظرت إلى حاله، هو خليفةٌ في الأندلس، ولا بدّ من زجرٍ للنّفس عن اليمين، فاخترت الأشدّ عليه وهو صيام ثلاثة أيّام، فهي أشدّ عليه من إطعام عشرة مساكين.

﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾: احفظوا أيمانكم: أي لا تُكثروا من حلف اليمين.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: من موجبات شكرنا لله تبارك وتعالى أنّه جعل ستراً وكفّارةً لأيماننا، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبةٍ أو صيام ثلاثة أيّامٍ إذا حلف الإنسان يميناً.

(الآية ٩٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: النّداء للمؤمنين، عندما تأتي: يا أيّها الّذين آمنوا، فهناك وظائف إيمانيّة، هناك: افعل ولا تفعل، هناك حلالٌ وحرامٌ، والسّبب بالتّوجّه للمؤمنين بأنّهم آمنوا بالله ﷻ، فهم يعلمون أنّ الطّاعة لأمر الآمر وليس للعلّة الّتي يعتقدها الإنسان، فإن تبيّنت الحكمة فهذا جميلٌ وعظيمٌ، وإن لم تتبيّن الحكمة فإنّنا نتعبّد إلى الله ﷻ ونطيعه فيما أمر.

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: أداة قصر، فعندما تقول: إنّما زيدٌ مجتهدٌ، فإنّك قصرت الاجتهاد على زيدٍ.

﴿ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: هناك أمرٌ حسّيٌّ وهو الخمر، وأمورٌ معنويّةٌ هي الميسر والأنصاب والأزلام.

﴿ٱلْخَمْرُ﴾: هو كلّ ما يخامر العقل ويستره، «**كلّ مسكرٍ حرام**»[1]، كما قال النّبيّ ﷺ، هذه الآيات تحتاج لتفسيرٍ دقيقٍ وواضحٍ وعلميٍّ للنّاس

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب قول النّبيّ ﷺ: «يسّروا ولا تعسّروا»، الحديث رقم (٥٧٧٣).

جميعاً، القرآن والإسلام وسنّة النّبيّ ﷺ جاءت من أجل الحفاظ على النّفس، فلا يُعتدى عليها بالقتل أو غيره، والحفاظ على العقل وسلامته فلا يُعتدى عليه بما يستره بآليّة الاختيار بين البدائل، والإسلام جاء لسلامة الأعراض فلا يُعتدى عليها حفاظاً على الأنساب، وجاء لسلامة الأموال فلا يُعتدى على جهد الإنسان وحركته في الحياة، هذا هو الأساس بالنّسبة لموضوع الخمر؛ لأنّه يستر العقل الّذي يميّز بين البدائل أمام الإنسان، وهو ما يميّز الإنسان عن الحيوان، فالحيوان يتحرّك ويدافع عن نفسه بالغريزة، أمّا الإنسان فله عدّة خيارات، مثلاً: جاء إنسانٌ ليعتدي على إنسانٍ آخر، أو تعرّض إنسانٌ لعدوان، فإنّ لديه بدائل ليختارها، فإمّا أن يصدّ العدوان، وإمّا أن يقول كلمة، وإمّا أن يذهب من هذا الطّريق، أمّا بالنّسبة للحيوان فلا توجد إلّا الغريزة وهذا ما نتحدّث عنه بالنّسبة لموضوع البدائل، الإنسان يحميه العقل والحيوان تحميه الغريزة، وهناك فارقٌ في ذلك، فلا يجوز أن يُستر العقل بالخمر فيصبح الإنسان من جرّاء ذلك كأنّه قد اعتدى على العقل.

﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾: سمّى الله ﷻ القمار ميسر ولم يسمّه معسر، والميسر: هو الحرص على أخذ المال من جيوب الآخرين، وهو اعتداءٌ على الأموال وعلى العمل، الميسر هو القمار، وسمّاه المولى ﷻ ميسراً لاعتقاد الإنسان أنّ الحصول على المال مُيسّر من خلال القمار من دون عمل، فتأخذ ما في جيب الآخرين بسهولةٍ، لذلك سُمّي ميسراً.

﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: أشياء تُنصَب، يذبح عليها المشركون تقرّباً للآلهة.

﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾: الأزلام: أشياءٌ يقسمون بها، يكتبون عليها: (افعل) و(لا تفعل) وثالثٌ لا يُكتَب عليه شيءٌ، فإذا أرادوا أن يفعلوا شيئاً عندهم فيه اشتباهٌ أخرجوها من محلّها واحداً واحداً، فإن خرج (افعل) نفّذ ما أراد، وإن خرج (لا تفعل) ترك، وإن خرج الّذي ليس فيه شيءٌ أعاد إخراجها، وهكذا.

﴿رِجْسٌ﴾: أمرٌ خبيثٌ قذرٌ.

﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: وذلك لأنّه قال عندما نزل إلى الأرض: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: من الآية ٨٣]، هذه واحدةٌ، والثّانية: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف]، الشّيطان يقعد على الصّراط المستقيم لا على الصّراط المعوج، هو يريد أن يضلّ النّاس، وهو عدوٌّ لنا كما أخبرنا الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر]، هذه أوّل نقطةٍ: الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشّيطان.

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾: يوجد فعل أمرٍ للاجتناب، هنا سنتحدّث عن تحريم الخمر؛ لأنّ هذا الأمر يثير جدلاً بين بعض النّاس، فالنّاس الّذين يعرفون اللّغة العربيّة والّذين يعرفون القرآن الكريم والّذين يؤمنون بالإسلام لا يوجد لديهم جدلٌ في هذا الموضوع على الإطلاق، لكن النّاس الّذين لا يعرفون يسألون لماذا لم يأت نصّ تحريمٍ: (حُرّم عليكم الخمر)، وإنّما جاء بصيغة: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾؟ التّحريم: هو نصٌّ بعدم شرب الخمر، فإذا قال المولى ﷻ:

(حُرّم عليكم الخمر)، فقد نصّ على عدم شربها، أمّا عندما ينصّ على الاجتناب: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾، أي عدم الوجود في مكانها، فالفارق كبيرٌ جدّاً، فعدم الوجود في مكانها وأن تعطيها جنبٌ فهذا أشدّ من التّحريم، لذلك عندما حُرّم الخمر حُرّم بالتّدرّج، أمّا أمر العقائد ففيها حسمٌ، ولا يوجد فيها تدرّجٌ، فنقول: لا إله إلّا الله، ولا نقول: أوّلاً غير ذلك ثمّ بعدها نتدرّج ونقول: لا يوجد سوى الله ﷻ، بالعقائد الجنّة الجنّة، والنّار النّار، واليوم الآخر اليوم الآخر، والملائكة الملائكة، والكتب الكتب، والقرآن القرآن.. أمّا بالنّسبة للعادات وغيرها فيأتي التّشريع فيها بالتّدرّج حتّى تألف قلوب النّاس وعقولهم تركَ هذه العادات المستحكمة، لذلك نرى القرآن الكريم تحدّث عن الخمر بعدّة صورٍ منها: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾ [النّحل: من الآية ٦٧]، هذه الآية أوّل ما نزل فيه، لا يوجد أيّ تعليقٍ لكن يوجد ملحظٌ أنّه من ثمرات النّخيل والأعناب تتّخذون منها سكراً لكن الرّزق سمّاه حسناً إذاً السّكر والخمر ليس حسناً، بعد ذلك جاءت آيةٌ ثانيةٌ: ﴿۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: من الآية ٢١٩]، قال: إثمهما كبيرٌ ويوجد فيهما منافعٌ، وبعد فترةٍ نزلت الآية الثّالثة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النّساء: من الآية ٤٣]، والصّلاة خمسة أوقاتٍ، إذاً حصر وضيّق على موضوع الخمر حتّى نزلت هذه الآية، فعندما نزلت هذه الآية علم كلّ الصّحابة والمؤمنين أنّ الاجتناب الّذي ورد في هذه الآية هو أشدّ

من التّحريم؛ لأنّ عليهم أن يجتنبوا كلّ الأماكن الّتي يوجد فيها الخمر.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لا يكون الفلاح والنّجاح في اليوم الآخر إلّا بالامتثال لأوامر الله ﷻ.

(الآية ٩١) - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾:

يكرّر المولى ﷻ ذكرَ الأنصاب والأزلام، وذكر الخمر والميسر؛ لأنّ الانتهاء والبعد عن الأنصاب والأزلام كان موجوداً في أيّامهم، وهذا من عظمة القرآن الكريم، ليعلم الإنسان أنّه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النّساء: من الآية ٨٢]، فلو أنّ إنساناً كتب القرآن الكريم لأضاف الجملة وهي متابعةٌ للآية السّابقة، (إنّما يريد الشّيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر والأنصاب والأزلام)، لكن قول الله تبارك وتعالى هنا لا يوجد فيه أنصابٌ وأزلامٌ؛ لعلمه ﷻ أنّ موضوع الأنصاب والأزلام سينتهي، لكنّ موضوع الخمر والقمار سيبقى.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾: إرادة الشّيطان ليست إرادة قهرٍ وإقناعٍ، إنّما إرادة تزيينٍ، والشّيطان عدوٌّ، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر]، هو يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين النّاس، فما الفارق بينهما؟ العداوة: يوجد فيها طرفان وانفصالٌ بينهما، أمّا البغضاء فتكون من

طرفٍ واحدٍ بدون وجود التحامٍ بين الطّرفين، تبغض أحدهم نتيجة أمرٍ ما لكن ليس من الضّرورة أن يوجد التحامٌ بينكما.

والبغضاء تؤدّي إلى العداوة، والعداوة تؤدّي إلى البغضاء، لماذا يوقع العداوة والبغضاء بالخمر والميسر؟ الجواب: لأنّ الخمر يستر العقل، وإذا سُتر العقل تصرّف الإنسان خارج حدود تقييم البدائل في العقل، فالإنسان المخمور المستور عقله قد يرتكب كلّ الفواحش وقد يرتكب كلّ ما حرّم الله ﷻ، فلا شكّ بأنّه ستقع عداوةٌ وبغضاءٌ من جرّاء هذا الخمر، وكذلك بالميسر، ولم نجد الخمر والميسر منذ نزول القرآن الكريم حتّى الآن إلّا ويوقعان العداوة والبغضاء بين النّاس.

﴿فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾: (في) هنا سببيّة، مثل قوله ﷺ: «**دخلت امرأة النّار في هرّة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»[1]، أي بسبب هرّةٍ ربطتها، وهنا (في) سببيّة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ أي أنّ العداوة والبغضاء سببهما الخمر والميسر، فالشّيطان يستطيع أن يُدخل بين النّاس العداوة والبغضاء من خلالهما.

﴿وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ﴾: الذّكر هو أن تعيش مع الله ﷻ، ويحتاج لعدم النّسيان، وبما أنّ الخمر يؤدّي لذهاب العقل، فهو

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدّوابّ فواسق يقتلن في الحرم، الحديث رقم (٣١٤٠).

صدٌّ مباشرٌ عن ذكر الله ﷻ ،واعتداءٌ على ما حرّمه ﷻ، وردٌّ لحكمه ﷻ وللصّلاة؛ لأنّ الصّلاة ذكرٌ، وهي صلةٌ مع الخالق ﷻ، ومناط التّكليف بالنّسبة للإنسان هو العقل، فإن لم يملك الإنسان العقل فلا يكلّفه المولى تبارك وتعالى بالصّلاة، فذهاب العقل بالخمر هو صدٌّ عن الصّلاة.

﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾: الاستفهام في القرآن الكريم أبلغ أنواع تقرير الحكم الشّرعيّ.

(الآية ٩٢) - ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾:

هنا قضيّةٌ مهمّةٌ، فطاعة الرّسول ﷺ هي من طاعة الله ﷻ، وهناك عدّة أنواعٍ من الخطاب للمؤمنين في القرآن الكريم حول الطّاعة المتعلّقة بالرّسول الكريم، مرّةً تأتي: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأنفال: من الآية ١]، ومرّةً تأتي: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: من الآية ٩٢]، في المجمل تكون طاعةً لله ﷻ، وفي التّفاصيل طاعةً للرّسول ﷺ، مثالٌ على طاعة الله ﷻ قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧]، بعدها طاعة الرّسول ﷺ حيث قال: «**خذوا عنّي مناسككم**»(١)، فالنّبيّ ﷺ أمرنا بالطّواف سبعة أشواطٍ والسّعي بين الصّفا والمروة والصّعود لعرفات... وكذلك الصّلاة، قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ مَن الّذي قال: صلاة الظّهر والعصر والعشاء أربع ركعات

(١) سنن البيهقي الكبرى: كتاب الحجّ، باب الإيضاع في وادي محسر، الحديث رقم (٩٣٠٧).

والمغرب ثلاث ركعات والفجر ركعتان؟! ومَن الّذي أخبرنا بمواعيد الصّلاة؟ ومَن الّذي علّمنا كيفيّتها؟ ومَن الّذي أخبرنا عن الرّكوع والسّجود؟ وعن التّسبيحات؟ وعن قراءة الفاتحة وقراءة آياتٍ من القرآن الكريم؟ فالّذين يقولون: يكفينا القرآن الكريم، يريدون أن يفرّغوا الدّين من أوامر القرآن؛ لأنّ القرآن الكريم قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ﴾، واحذروا: حتّى لا يقولنّ قائلٌ: لا أريد أن آخذ بالأحاديث النّبويّة، فهذا يعني أنّك لا تريد صلاةً ولا حجّاً.. في النّتيجة أنت لا تريد القرآن؛ لأنّ القرآن الكريم نزل على النّبيّ ﷺ، ففي كلّ تفاصيل الأمور التّشريعيّة لا بدّ من طاعة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، ويقول القرآن الكريم في آيةٍ أخرى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: من الآية ٧]، فكثيرٌ من الأحكام وتفاصيلٌ تبيّن الحلال من الحرام لم ترد بالقرآن الكريم، «**ما أسكر كثيره فقليله حرامٌ**»[1]، مَن الّذي قالها؟ قالها النّبيّ ﷺ، ومن الّذي قال: «**لعن الله الرّاشي والمرتشي**»[2]، قالها الرّسول ﷺ ولم ترد بالقرآن الكريم... إذاً القضيّة تطول في هذا الموضوع، لذلك عقب قضيّة الخمر والميسر تحديداً جاء قوله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، حتّى لا يقول أحدهم: قليلٌ لا يؤثّر، فالنّبيّ ﷺ يقول: «**ما أسكر كثيره فقليله حرامٌ**»، كلّ ما يخامر العقل ويستره فهو حرامٌ ويندرج في ذلك المخدّرات.

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الأشربة، باب ما أسكر كثيره فقليله حرام، الحديث رقم (١٨٦٥).

(٢) صحيح ابن حبّان: كتاب القضاء، باب الرّشوة، الحديث رقم (٥٠٧٧).

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ﴾: لماذا جاءت هنا واحذروا؟ احذروا أن تفرّقوا بين أوامر الله ﷻ وبين أوامر رسول الله ﷺ حتّى لا تفرّغوا الدّين من مضامينه، هذا يعني أنّ كلّ إنسانٍ سيفسّر القرآن الكريم على هواه، وكلّ إنسانٍ يقول في القرآن الكريم بغير ما أمر الله ﷻ، هناك ضوابط حدّدها النّبيّ ﷺ فسيرته وأحاديثه وأقواله وأوامره وأفعاله وتركه ونهيه هو الدّين، هو المذكّرة التّفصيليّة للقرآن الكريم، لذلك لا يمكنك بالمواريث ولا بالطّلاق ولا بالأحكام ولا بالتّشريعات إلّا أن تبحث في أوامر الرّسول ﷺ حتّى يتبيّن لك الحكم، ويمكن أن أضرب أمثلةً كثيرةً على بعض الأطروحات الّتي تطرح بأنّ هذه الآية يُقصد بها كذا وهذه الآية يُقصد بها كذا.. نحن لسنا هنا لنترك الحبل على الغارب لكلّ إنسان أن يقول ما يشاء وكيفما يشاء في القرآن الكريم، النّبيّ ﷺ هو الّذي حدّد أمر القرآن الكريم، فلا قول لأحدٍ غير ذلك، بعض النّاس يقول: هذا الكلام صحيحٌ، ولكن هذا الحديث صحيحٌ وهذا الحديث كذا و.. فيدخلون فيما لا شأن لهم به، وهذا الأمر مدقّقٌ وموجودٌ ومعروفٌ، الأحاديث الصّحيحة والأحاديث الّتي يُحتجّ بها والمتواتر والمشهور والآحاد وتراجم الرّجال وعلم مصطلح الحديث فهذا نتركه للاختصاصيّين، وقد نضج علم الحديث حتّى احترق.

(الآية ٩٣) - ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣﴾:

سبب نزول الآية: أنّ بعض الصّحابة ماتوا مؤمنين ولم تكن الخمر قد حُرّمت، فسأل قومٌ من الصّحابة النّبيّ ﷺ: يا رسول الله، كيف بمن مات منّا وهو يشربها ويأكل الميسر، أشفق قومٌ وتخيلوا نقص من مات على هذه المذمّات، فنزلت هذه الآية.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: لم يكن قد نزل التّحريم. انظر لدّقّة القرآن الكريم لا يُذكر الإيمان إلّا ويُذكر معه عمل الصّالحات، فعمل الصّالحات تُرجمانٌ للإيمان.

﴿جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾: يُعبَّر عن الشّرب أيضاً بالطّعام، قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة: من الآية ٢٤٩]، فعبّر عن الماء بالطّعام أيضاً.

﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الشّرط التّقوى والإيمان والعمل الصّالح حتّى يدخل الإنسان الجنّة.

﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾: هذه المرّة الثّانية الّتي يُذكَر فيها التّقوى والإيمان، أي بعد نزول هذه الآية بالتّحريم المغلّظ للخمر والميسر.

﴿ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾: أي كلّما نزلت آيةٌ زادتهم إيماناً، وأنت تُعبّر عن زيادة الإيمان بأن تطبّق كلّ أمرٍ فيه حكمٌ من أحكام الله ﷻ، وتبتعد عن الحرام فهذا عبارةٌ عن تجديدٍ للإيمان؛ لأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستّون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلّا الله، وأدناها**

إماطة الأذى عن الطّريق»[1]، فإماطة الأذى عن طريق النّاس شُعبةٌ من شُعب الإيمان.

﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْ﴾: هذه الثّالثة الّتي يذكر فيها التّقوى، ثمّ أتبعها بالإحسان؛ لأنّ الإحسان له جانبان، الجانب الأوّل: هو زيادةٌ عمّا فرضه الله ﷻ علينا، مثالٌ: فرض الله ﷻ علينا أربع ركعات، ونحن صلّينا زيادةً من جنس الّذي فرضه علينا، وفرض علينا زكاةً فتصدّقنا بأموالٍ أكثر، وفرض علينا الصّيام بشهر رمضان فصمنا يومَي الإثنين والخميس... هذا يسمّى إحساناً؛ لأنّ الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذّاريات]، هذه ليست فرضاً، إنّها زيادةٌ عن الفرض وهذا إحسانٌ، والجانب الآخر للإحسان كما عرّفه النّبيّ ﷺ: «**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»[2]، الرّقابة الإلهيّة المستمرّة على كلّ حركةٍ وكلّ عملٍ وكلّ نفسٍ تقوم به، ننظر: «**كأنّك تراه**»، ولا ننظر لكلمة: «**كأنّه يراك**»، الشّعور بأنّه يراك، فلا تجعل الله ﷻ أهون النّاظرين إليك، فلا ترتكب أيّ معصيةٍ. فالله ﷻ يراك في كلّ عملٍ، فلا يصحّ أن أكون صائماً وأؤذي النّاس بلساني، لا يصحّ أن أصلّي وأغتاب،

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، الحديث رقم (٣٥).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عليه السلام النّبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام، الحديث رقم (٥٠).

لا يصحّ أن أصوم وأنمّ.. هذه الأمور لا تصحّ؛ لأنّه يراني جلّ وعلا.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الله ﷻ يحبّ الإحسان بكلّ شيء، ويحبّ المحسنين الّذين يشعرون برقابته ﷻ والّذين يزيدون عشقاً بالتّكاليف يزيدون من جنس ما فرضه الله ﷻ عليهم، والتّقوى وردت في هذه الآية ثلاث مرّات مع الإيمان ومع الإحسان، هي مراتب، وقد سئل الإمام عليّ كرّم الله وجهه ما هي التّقوى؟ فقال: (الخوف من الجليل، والعمل بالتّنزيل، والرّضى بالقليل، والاستعداد ليوم الرّحيل)، ولو نظرنا إلى هذه الأربعة لوجدنا أنّها تمثّل كلّ ما يتعلّق بالإسلام؛ لأنّ العمل بالتّنزيل هو العمل بما جاء في القرآن الكريم، والقرآن الكريم أمرنا باتّباع كل ما جاء به النّبيّ ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: من الآية ٧]، والخوف من الجليل أن تخاف من الله ﷻ، فإذا خفت من الله ﷻ فلن تخاف من أحدٍ سواه؛ لأنّك تعلم بأنّه لا يضرّ ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ولا يخفض ولا يرفع ولا يعزّ ولا يذلّ إلّا الله ﷻ، وأنّ بيده مقاليد كلّ شيءٍ، وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ، من دون استثناء لذلك التّأكيد في القرآن الكريم على معاني الإيمان والتّقوى والإحسان هي هذه المعاني الّتي تضمن الإنسان وتسوّره وتحيط به.

أنت تبغي أن يحبّك الله ﷻ، وليست المشكلة أنّني أحبّ الله ﷻ، لكنّ المشكلة هي أن يحبّنا الله ﷻ، فلننظر ماذا يحبّ حتّى يحبّنا، قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [التّوبة: من الآية ٤]،

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٢]، وعندما يذيّل الله ﷻ الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، لنفعل الإحسان بجانبيه، أن نعبد الله ﷻ كأنّنا نراه، فإن لم نكن نراه فإنّه يرانا، وأن نقوم بإضافاتٍ على ما افترضه علينا من جنس ما افترضه، أن نتصدّق على الفقراء والمساكين، ونحسن قراءة القرآن الكريم، ونتعلّم العلم النّافع، ونحصّن البلاد والعباد، ونكون في مقدّمة الرّكب الحضاريّ الإنسانيّ، كلّ هذا من الإحسان الّذي أمر الله ﷻ به.

(الآية ٩٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤﴾:

دائماً بعد الخطاب للّذين آمنوا تأتي وظيفةٌ أو تكليفٌ إيمانيٌّ، ويخاطب الله ﷻ المؤمنين بصفة الإيمان، وهي عقدٌ يتجدّد عند كلّ وظيفةٍ إيمانيّةٍ يأمر بها المولى ﷻ أو ينهى عنها، وهنا يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي ليختبرنّكم ويمتحننّكم، هذا هو الابتلاء.

﴿بِشَيۡءٖ﴾: بسيط، ﴿مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾.

﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾: كان هذا الأمر عند عمرة الحديبية، وتحتاج العمرة للإحرام، والإحرام له ميقاتٌ يتعلّق بالمكان، وهناك زمانٌ يتعلّق بالإحرام، فعندما كان المؤمنون خلف رسول الله ﷺ ليؤدّوا العمرة أراد الله ﷻ عند الحديبية أن يختبرهم بشيءٍ من الصّيد، والصّيد محرّمٌ أثناء الإحرام.

﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾: علم من يخافه بالغيب هو علم الحجّة، فالله ﷻ يعلم بالتّأكيد، ولكن ليضع الحجّة على المؤمن بأنّه لم يمتثل لأمر الله تبارك وتعالى.

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: الاعتداء: هو تجاوز الحدّ والحقّ، فلا يحقّ لك الاصطياد وأنت مُحرم. وهذه التّجربة مرّت بنا مع شعب بني إسرائيل عندما حُرّم عليهم الصّيد يوم السّبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعاً، فاحتالوا على الأمر والنّهي الإلهيّ في ذلك الوقت.

وبالنّسبة للإحرام فإنّ له ضوابط، هذه الضّوابط الإيمانيّة من ضمنها تحريم الصّيد في الأشهر الحُرُم أو عندما يُحرم الإنسان لأداء العمرة أو الحجّ.

(الآية ٩٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٩٥﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾: هذا هو التّحريم الّذي أمر به المولى ﷻ، طالما أنّك في دائرة الإحرام فلا يجوز لك أن تقتل الصّيد.

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا﴾: هناك آراءٌ متعدّدةٌ للفقهاء في تفسير هذه الآية، والمتعلّق بهذا الأمر بأنّه حتّى لو قتل الصّيد خطأً فلا بدّ من الفدية، ولا بدّ من الجزاء مثل ما قتل من النّعم، أي بالحجم ذاته، أو مثل الحيوان أو الطّير الّذي اصطاده.

﴿فَجَزَآءٌ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾: إن كان من النّعم.

﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾: يجب أن يحكم اثنان بهذا الأمر أنّ عليك مثل هذا الصّيد توزّعه على المساكين والفقراء.

﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾: الهدي للكعبة، أي يوزّع على المساكين في البيت الحرام.

﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ أي تكفّر، والتّكفير هو محوٌ وسترٌ للسّيّئة الّتي ارتكبتها وأنت محرمٌ، فلا بدّ لك من التّكفير بأن تُطعم مساكين بهذا المقدار.

﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾: فإن لم تستطع فيكون الصّيام بما يعدل قيمة الإطعام للمساكين يومٌ أو يومان أو ثلاثة أيّامٍ.

﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ﴾: فالإنسان الّذي يقتل الصّيد أو يصطاد وهو مُحرم فعليه جزاءٌ، هذا الجزاء لا بدّ من أن يُوَزّع ويُعطَى ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ أي لمساكين الكعبة، ﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾، ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ أن يصوم على قدر هذا الإطعام، ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ﴾ أي عاقبة أو ثقل فعله، وعاقبة هذا الأمر.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: لأنّ الّذي يعود ويصرّ على المعصية وعلى ارتكاب الحرام، والمولى ﷻ يريد من عباده الامتثال لأوامره ولا يريد منهم التّمرّد، وهنا ليست قضيّة الحِلّ، وإنّما قضيّة ابتلاءٍ للإنسان؛ لأنّ الآيات بدأت بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ هو امتحانٌ واختبارٌ للإنسان يأتيك الصّيد من بين يديك وتستطيع اصطياده فحرّمه الله ﷻ، إذاً هو محرّمٌ فقط في هذا الزّمن أو محرّمٌ فقط عندما تكون قد دخلت في دائرة الإحرام في منطقة الإحرام وأنت ذاهبٌ إلى بيت الله الحرام.

(الآية ٩٦) - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾:

هي ليست رتابة تحريم صيدٍ، وإنّما هي رتابة امتثالٍ لأمر الله ﷻ، هنا حرّم صيد البرّ وأحلّ صيد البحر، والبحر كما قال النّبيّ ﷺ عندما سُئل البحر: «**هو الطّهور ماؤه الحلّ ميتته**»[1]، أي السّمك.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾: صيد البحر هو طعامه، فلماذا عطفه المولى ﷻ؟ الجواب: أنّ صيد البحر هو ما يُصطاد مباشرةً، أمّا طعامه فهو ما مُلّح من الصّيد وبقي فترةً.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: السّيّارة الّذين يسيرون في طريق السّفر.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: بيّن الله ﷻ العلّة بأنّها تقوى، فقضيّة الحلال والحرام اختبارٌ وتقوى، يقول بعض النّاس: لا بدّ من وجود حكمةٍ من تحريم الحرام، كتحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، هذا تحريمٌ دائمٌ لا يتعلّق بزمانٍ ولا مكانٍ، أمّا تحريم الصّيد هنا فتحريمٌ يتعلّق إمّا بزمن الإحرام وإمّا بمكان ميقات الإحرام، عندما

---

(١) سنن النّسائيّ: كتاب المياه، باب الوضوء بماء البحر، الحديث رقم (٣٣٢).

تدخل لمنطقة الإحرام وتحرم فأصبح الصّيد حراماً، هذا يدلّ على أنّ الأمر والنّهي من الله ﷻ العلّة فيه هو الامتثال لأمر الآمر، وليست العلّة فيه أن نقول مثلاً: لحم الخنزير فيه ديدان و... فلا نأكله؛ لأنّه يؤدّي إلى الأمراض، ولا نشرب الخمر؛ لأنّه يؤدّي إلى ستر العقل.. هذا صحيحٌ، لكنّنا لا نأكل لحم الخنزير ولا نشرب الخمر ولا نقترب من الميسر والأزلام والأنصاب امتثالاً لأمر الله ﷻ، علمنا أم لم نعلم العلّة الّتي أرادها الله ﷻ من هذا التّحليل وهذا التّحريم، وإلّا فلو كان الأمر كذلك لكان الإنسان يعبد الحكمة والعلّة ولا يعبد الله ﷻ، قد تسأل إنساناً: لماذا لا تشرب الخمر؟ فيقول: لأنّه يؤدّي إلى تشمّع الكبد، هذا الأمر صحيحٌ طبيّاً، لكن أنت تقول: لا أشرب الخمر؛ لأنّ الله ﷻ حرّم الخمر، بعد ذلك علمنا أنّه يؤدّي إلى تشمّع الكبد وإلى أضرارٍ أو غير ذلك من المحرّمات الّتي حرّمها الله ﷻ، المهمّ هو الابتلاء الإيمانيّ، والاختبار الإيمانيّ يكون فيما أمر الله ﷻ وما نهى، افعل ولا تفعل، هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، لذلك كانت نتيجة الحلّ والحرام فيما يتعلّق بالإحرام وما يتعلّق بالأشهر الحُرُم، العلّة هي: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، كما هي العلّة من العبادات تقوى الله ﷻ، فالعلّة بالنّسبة للصّيام التّقوى كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة]، صحيحٌ أنّ الله ﷻ منعك عن الطّعام والشّراب وهو غذاءٌ للجسد، ومنعك عن الجنس وهو غذاءٌ للجسد، لكنّ الله ﷻ أراد أن يغذّي الرّوح، وهذه الرّوح لا تتغذّى إلّا

بالقيم، إذاً هناك البدن وهناك القيم، فالطّعام والشّراب غذاء البدن، والقرآن الكريم والصّيام غذاء القيم وغذاء الرّوح، لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**الصّيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربّ، منعته الطّعام والشّهوات بالنّهار فشفّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النّوم بالليل فشفّعني فيه، قال: فيشفعان**»[1]، العلّة عندما يعطي المولى ﷻ الأوامر فيما يتعلّق بالتّحليل أو التّحريم أو بالأمر بالعبادات فالعلّة والغاية الأساسيّة هي تحصيل التّقوى، والتّقوى هي جماع الخير، كلّ أمرٍ يتعلّق بالخير والخيريّة هو تقوى.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾: أي اجعلوا بينكم وبين غضب الله حاجزاً؛ لأنّكم ستعودون وتحشرون إليه ﷻ فينبّئكم بما تعملون.

(الآية ٩٧) - ﴿۞جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٩٧﴾:

كان الحديث في الآيات السّابقة يتعلّق بالإحرام، والإحرام جزءٌ لا يتجزّأ من أداء ركن الحجّ أو العمرة الشّريفة، يجب أن يكون الإنسان محرماً عندما يدخل البيت الحرام بحجٍّ أو عمرةٍ، وهذا أمرٌ يتعلّق بالضّوابط الإيمانيّة، وبأنّ هذا البيت الكريم أوّل بيت وضع للنّاس كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ

(١) مسند الإمام أحمد: مسند المكثرين من الصّحابة، مسند عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما، الحديث رقم (٦٦٢٦).

﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران]، بعدما بيّن الله ﷻ ما يجوز وما لا يجوز وما هو حلالٌ أثناء الإحرام وما هو حرامٌ بالنّسبة للصّيد وما يتعلّق بذلك.

﴿*جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾: هناك فرق ما بين (خَلَق) و(جَعَل)، الخلق: إيجادٌ من العدم، والجعل: هو توجيه المخلوق إلى المهمّة الّتي أرادها الله ﷻ له في هذه الدّنيا.

﴿ٱلْبَيْتَ﴾: من البيتوتة، وطالما أنّ الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران]، فـ ﴿وُضِعَ﴾ فعل مبني للمجهول، أي لم يكن موضوعاً من قِبل النّاس؛ لأنّ آدم عليه السلام أوّل النّاس ينطبق عليه وصف النّاس، فمَن الّذي وضع الكعبة، والله ﷻ يقول: ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ و﴿*جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾؟ الجواب: الملائكة هم الّذين وضعوها، وقد يأتي مَن يقول: بل إبراهيم الخليل ﷻ، بدليل أنّ الله ﷻ يقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٧]، والجواب: لا، فإبراهيم عليه السلام يرفع القواعد، أي أنّ مكان البيت كان موجوداً قبل ذلك، وهو يرفع أي يأخذ البعد الثّالث وهو الارتفاع، ولم يقل: (وإذ يبني إبراهيم البيت وإسماعيل)، فطالما أنّ إبراهيم عليه السلام رفع فأين كان البيت الحرام؟ نعود لأساس القصّة، وهي أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام أخذ السّيّدة هاجر وذهب إلى مكانٍ أمره الله ﷻ به: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ

﴿ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم]، جاء إلى منطقةٍ قاحلةٍ لا يوجد فيها زرعٌ ولا نباتٌ ولا ماءٌ ولا أيّ شيءٍ على الإطلاق، وكان معه هاجر والرّضيع إسماعيل، وهو الولد الأوّل لسيّدنا إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ هذا يدلّ على أنّ البيت كان موجوداً قبل أن يرفع القواعد؛ لأنّ قوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٧]، يدلّ على أنّ إسماعيل كان فتىً، وإلّا لما استطاع أن يرفع القواعد مع أبيه لو كان طفلاً رضيعاً، فالبيت الحرام كان موجوداً قبل آدم عليه السلام، واندَثر مع طوفان نوح عليه السلام، وبعد ذلك رفع إبراهيم الخليل عليه السلام القواعد.

﴿*جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾: أي فيه ما يقيم حياة النّاس بالقيم وبالبدن، لذلك أصبحت الثّمرات تُجبى إليه، يقول الإمام عليّ كرّم الله وجهه: من أراد الدّنيا والآخرة فليؤمّ هذا البيت استجابةً لقول الله ﷻ: ﴿*جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾، تقيم حياة الدّنيا والآخرة للنّاس، الحياة الصّالحة في الدّنيا والنّتيجة في الآخرة.

﴿ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾: حرامٌ؛ لأنّه يُحرّم فيه ما لم يُحرّم في غيره، مثلاً حرمة الصّيد، ويقول ﷻ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧]، وقد يسأل إنسانٌ: هناك عبر التّاريخ من رمى الكعبة بالمنجنيق، فكيف يكون من دخله آمناً؟ الجواب: هذا أمرٌ تكليفيٌّ من الله ﷻ، وهذا كقوله ﷻ: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ

﴿لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النّور: من الآية ٢٦]، هل كلّ طيّب في الدّنيا معه طيّبة؟ لا، قد يكون طيّبٌ ومعه خبيثةٌ، أو خبيثٌ ومعه طيّبةٌ، لكن هو يأمركم أن يبحث الطّيّب عن الطّيّبة، وتبحث الطّيّبة عن الطّيّب، فعندما يقول ﷻ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧]، أي عليكم أنتم أيّها المؤمنون أن تؤمّنوا من يدخل إلى البيت الحرام، هذا أمرٌ تكليفيٌّ يمكن أن تفعله أو لا تفعله، هذا البيت الحرام يُحرم الإنسان فيه، يلبس اللّباس الأبيض غير المخيط، ولا يقترب من النّساء، ولا يضع مسكاً ولا عطراً، ولا يقصّ أظافره.. وغيرها من ضوابط الإحرام المعروفة للجميع.

﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: الشّهر الحرام هي الأشهر الحُرُم الّتي حرّم الله ﷻ فيها القتال والصّيد، وهي رجب وذو القعدة وذو الحجّة ومحرّم.

﴿وَٱلْهَدْىَ﴾: هو الشّاة الّتي تُساق وتُهدى للحرم، أي للمساكين والفقراء في الحرم.

﴿وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: الإبل المُقلّدة، أي يضعون لها القلائد لمعرفة أنّها خاصّة للمساكين في البيت الحرام.

﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: كلّ هذا الحلال والحرام وما يتعلّق بالكعبة كي تعلم أيّها الإنسان أنّ الله ﷻ يعلم، وطالما أنّه يعلم فإنّه يعلم الامتثال الإيمانيّ من الامتثال الظّاهريّ، والمطلوب هنا التّقوى في حالات الإيمان والتّعبّد لله ﷻ، فإذا ذهبت للحجّ لماذا تُحرم؟ الجواب: هو انضباطٌ إيمانيٌّ، يقول لك: طُف سبعة

أشواط، قبّل الحجر الأسود، افعل كذا.. لماذا سبعة وليست ثمانية؟ الجواب: هي ضوابط إيمانيّةٌ؛ لأنّ الله ﷻ يعلم ما في السّماوات وما في الأرض، وأنّ الله بكلّ شيءٍ عليمٌ، فلا تستطيع أن تخفي ما الله يعلمه جلّ وعلا.

(الآية ٩٨) - ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾:

هنا يبيّن الله ﷻ صفتين، الصّفة الأولى هي من صفات الجلال وهي شديد العقاب، والصّفة الثّانية هي من صفات الجمال، وقد أورد المولى ﷻ صفتين للجمال: غفورٌ ورحيمٌ مقابل شديد العقاب، فاعلموا أنّ الله ﷻ توعَّد مَنْ يخالف أوامره عن قصدٍ وعن تكبّرٍ وعن تجبّرٍ فإنّه شديد العقاب، أمّا من يخالف الأوامر عن ضعفٍ في النّفس فإنّ الله ﷻ غفورٌ رحيمٌ، وذلك مثل إبليس –لعنه الله– الّذي ردّ الحُكم على الله ﷻ فلذلك لعنه وطرده من رحمته، أمّا آدم عليه السلام فقد عصى وتاب، وهذا هو الفارق، فالله ﷻ شديد العقاب لمن يجحد ويتكبّر ويردّ الحُكم عليه، وهو غفورٌ رحيمٌ بالمقابل لمن يقع في الخطأ ويذنب ثمّ يتوب ويعود.

(الآية ٩٩) - ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩﴾:

الآيات السّابقة كانت كلّها تتعلّق بالحلال والحرام والإحرام والبيت الحرام، إذاً هي تتعلّق بأوامر افعل ولا تفعل، بعد ذلك أراد الله ﷻ أن يسلّي قلب المصطفى ﷺ ويبيّن مهمّة الرّسل عليهم السلام بالنّسبة للنّاس، فعندما خلق الله ﷻ الخلق واستدعاهم إلى الوجود لم يتركهم تائهين ضالّين عن وجوده،

مع أنّه وضع فطرة الإيمان في نفوسهم، فأراد ﷻ أن يثبّت ذلك بألسنة الرّسل عليهم السلام، فمهمّة الرّسل التّبليغ عن الله ﷻ، لذلك قال جلّ علا: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾، البلاغ: هو إعلانٌ عن شيءٍ مهمٍّ.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾: فلا تُحمّل نفسك يا محمّد فوق طاقتك، فأنت عليك البلاغ فقط، لذلك عندما أمر الله ﷻ إبراهيم عليه السلام وهو في وادٍ غير ذي زرعٍ ولا يوجد فيه أناسٌ قال له ﷻ: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجّ]، قال إبراهيم الخليل عليه السلام: يا ربّ كيف أؤذّن؟ ومن سيسمعني؟ لا يوجد أحدٌ، فكان الجواب: يا إبراهيم، ما على الرّسول إلّا البلاغ، يا إبراهيم، أنت عليك الأذان، ونحن علينا إيصال الأذان، فوصل هذا النّداء، دعوة إبراهيم الخليل الّتي دعاها عليه السلام، فالرّسول ليس عليه إلّا البلاغ لكنّه يكون أسوةً سلوكيّةً، كما قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]، لذلك قال ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية]، أي مبلّغ، ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية]، نحن لسنا قضاةً ولا نجبر النّاس على الدّين ولا على الشّريعة الإسلاميّة ولا على أحكام الدّين، وإنّما نحن فقط نذكّر ونحن دعاةٌ فقط، لا تقل: هذا كافرٌ وهذا لم يؤمن، أنت عليك البلاغ فقط، ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية]، هذا عملنا وليس عملك.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾: هناك حركة نفاقٍ في المجتمع

كبيرةٌ جدّاً، فقد تُبدي غير ما تكتم، ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه]، السّرّ: يكون بين اثنين، والأخفى: هو ما في نفسك.

(الآية ١٠٠) - ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾:

انظر لدقّة الأداء والتّبليغ، قال الله ﷻ للرّسول ﷺ: ﴿قُل﴾، فقال النّبيّ ﷺ: ﴿قُل﴾، ولم يحذف كلمة: ﴿قُل﴾، وهذا من أمانة التّبليغ؛ لأنّه قال له: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ فكلّ حرفٍ سيبلّغه دون زيادةٍ ولا نقصانٍ.

﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ﴾: ما أعظم هذه الآية، فمن طبع الإنسان أنّه يقرّ أنّ الطّيّب طيّبٌ، والخبيث خبيثٌ، وعندما قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ﴾، إذاً هناك فئةٌ من النّاس سيُعجبهم كثرة الخبيث، وأهمّ ما يُعجب النّاس من كثرة الخبيث هو كثرة المال الحرام، بغضّ النّظر عن كونه طيّباً أو غير طيّبٍ، ففي أيّام أبي جعفر المنصور زمن الخلافة العبّاسيّة كان هناك شيخٌ، وكان واعظاً ومشهوراً في ذلك الوقت يسمّى مقاتل بن سليمان، فقال له أبو جعفر المنصور -وعنده أناسٌ-: عظني، فقال: يا أمير المؤمنين، مات عمر بن عبد العزيز وقد ترك أحد عشر ولداً، وخلّف ثمانية عشر ديناراً، كُفّن منها بخمسة، واشتروا له قبراً بأربعة، وقُسّم الباقي وهو تسعة دنانير على أحد عشر ولداً من أولاد عمر بن عبد العزيز، قال: يا أمير المؤمنين، ومات هشام بن عبد الملك،

فكان نصيب إحدى زوجاته الأربع ثمانين ألف دينار، بالإضافة إلى الضّيع والقصور، وكان نصيب الزّوجات الأربع ثلاثمئةٍ وعشرين ألف دينار، والله الّذي لا إله إلّا هو يا أمير المؤمنين، لقد رأيت بعينيّ هاتين في يومٍ واحدٍ ولداً من أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على مئة فرسٍ في سبيل الله، وولداً من أولاد هشام بن عبد الملك يسأل النّاس في الطّريق، هذا هو تفسير قوله جلّ وعلا: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾، هذا هو الفارق بين الخبيث والطّيب.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: اتّقوا الله: اجعلوا بينكم وبين غضب الله ﷻ حاجزاً، لا تأكلوا أموال النّاس بالباطل، لا تقبلوا الرّشوة، لا تسرقوا، لا تحتكروا، لا تنمّوا، لا تنقلوا الطّيّب إلى دائرة الخبيث، فالقليل من الحلال أفضل من قناطير من الحرام.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: وكلمة الفلاح مأخوذةٌ من كلمة فِلاحة، فأنت تزرع وتحصد وتفلح وتحرث الأرض، أنت ألقيت حبّةً واحدةً في الأرض فأعطت سبعمئة حبّة، هذه هي الفلاحة.

(الآية ١٠١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾:

قال النّبيّ ﷺ: «**دعوني ما تركتكم، إنّما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا**

أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم»[1]، يحاولون سؤاله في كلّ قضيّةٍ ولدينا تجربة من شعب بني إسرائيل بأنّهم شدّدوا في السّؤال فشدّد الله ﷻ عليهم في التّحريم وفي الطّلبات، فعندما أُمروا بذبح بقرة، ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌۚ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَاۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠﴾ [البقرة]، شدّدوا فشُدّد عليهم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾: تذييل الآيات له معنىً يتعلّق بصدر الآية، فهو غفورٌ يغفر لكم كثرة الأسئلة، فبعض الأشخاص كانوا يحرجون النّبيّ ﷺ بأسئلتهم، هذا يسأله مَن أمّي؟ مَن أبي؟ والله ﷻ غفورٌ يغفر لهم.

حليم: الله ﷻ رؤوفٌ بعباده، رحيمٌ بهم، ولكن على الإنسان ألّا يأمن من عقاب الله ﷻ، ولا يغترّ بحلمه جلّ وعلا، وعليه أن يعمل ليكون ضمن دائرة مغفرة وحلم الله ﷻ.

(الآية ١٠٢) - ﴿قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾:

أي كانوا يسألون عن أشياء، كشعب بني إسرائيل، وبعد ذلك يكفرون ولا يطبّقون ما سألوا المولى ﷻ عنه، ولا يقومون بما أمرهم به الله عزّ وجلّ، هنا يجب أن نبيّن أمراً: وهو أنّ الشّريعة الإسلاميّة والدّين

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، الحديث رقم (٦٨٥٨).

الإسلاميّ أو الأديان بشكل عامّ والشّرائع السّماويّة ليست للتّضييق على النّاس، ولكنّ الخالق هو الصّانع، وهو الّذي خلق الإنسان، ويعلم ما يصلُح له في دنياه وفي آخرته، فعندما يبيّن المولى ﷻ الأحكام للنّاس إنّما هي رأفةٌ ورحمةٌ منه، ولمصلحة البشر وليس تضييقاً عليهم؛ لأنّه ﷻ يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر، وما خُيّر النّبيّ ﷺ بين أمرين إلّا اختار أيسرهما إن لم يكن إثماً، لكنّ الإنسان خُلق ضعيفاً، ويريد أن يتفلّت من الضّوابط الّتي توضع، وإذا تفلّت الإنسان منها فالمشكلة لا تتعلّق به فقط، وإنّما تتعلّق ببقيّة النّاس، فالمولى ﷻ حرّم عليك السّرقة، وكما حرّمها عليك فقد حرّم على غيرك أن يسرقك، حرّم عليك الزّنى وحرّم على غيرك أن يزني بمحارمك، حرّم عليك الرّشوة وحرّم على غيرك أن يبتزّك، حرّم عليك النّميمة وحرّم على غيرك أن ينمّ عليك، حرّم عليك الغيبة وحرّم على غيرك أن يغتابك، فالمحرّمات هي للمصلحة العامّة، هي للجميع في الضّوابط الإيمانيّة الّتي يضعها الإسلام، وما من ضابط وضعه الشّرع الإسلاميّ إلّا ويؤدّي إلى المصلحة، إذاً حيثما يكون شرع الله ﷻ تكون المصلحة؛ لأنّ الله ﷻ يعلم وأنتم لا تعلمون.

(الآية ١٠٣) - ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾:

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾: هنا أربعة من الأنعام: بحيرة وسائبة ووصيلة وحام، مرّ بنا ما أحلّ الله ﷻ من الأنعام وما

حرّم منها، وهناك قاعدةٌ فقهيّةٌ تقول: الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نصٌّ قطعيٌّ في التّحريم، ومن له سلطة التّحريم؟ الجواب: إنّه الله ﷻ والرّسول الكريم ﷺ، لا يستطيع أحدٌ من البشر أن يحلّل وأن يحرّم من تلقاء نفسه؛ لأنّ الله ﷻ هو الّذي خلق ويعلم ما يصلح لصنعته، فالخالق يدبّر أمر الخلق، وليس لمخلوقٍ أن يدبّر أمر الخلق.

البحيرة: هي من الأنعام، وهي ناقةٌ تشقّ أذنها شقّاً طويلاً كعلامةٍ أنّها محرّمةٌ فلا يحلبها ولا يتعرّض لها أحدٌ من النّاس.

السّائبة: هي النَّذْر، ينذر هذه الأنعام أو النّاقة فلا تُربط، وتأكل كما تريد، أي لا يجوز أن يُقترَب منها.

الوصيلة: الشّاة الّتي تلد سبعة أبطن عناقين عناقين – والعناقين: الأنثى– فإن وصلت أخاها فلا يذبحون الذّكر من أجل الأنثى. وقيل: هي النّاقة البكر تبكّر في أوّل النّتاج، ثمّ تُثَنّي بعدها أنثى، وكانوا يسيّبونها لآلهتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.

الحام: هو الفحل الّذي يُحمى ظهره من أن يركب.

لقد حرّم أهل الشّرك في ذلك الوقت هذه الأنواع الأربعة فلا يُقترب منها، وأتوا بذلك من عادات آبائهم الجاهليّة فقال الله ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، قد افتروا على الله ﷻ كذباً بتحريم هذه الأمور، فالحلال بيّنٌ والحرام بيّنٌ، بيّنه الله ﷻ وبيّنه رسول الله ﷺ، لذلك قال جلّ وعلا:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾: أي طالما لم يرد نصٌّ بالتّحريم فلماذا تُحرَّم هذه الأنعام من قِبل هؤلاء المشركين؟ الجواب: لأنّ أكثرهم لا يعقلون، ولا يستخدمون العقل.

(الآية ١٠٤) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾: أي للمشركين.

﴿تَعَالَوۡاْ﴾: قال: ﴿تَعَالَوۡاْ﴾، ولم يقل: (اتّبعوا ما أنزل الله) فهم قالوا: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [البقرة: من الآية ١٧٠]، وهذه إشارةٌ، أي ارتفعوا عن ما هبطتم إليه من فِكرٍ ومن أعمالٍ، فعندما تأخذ بأوامر الله ﷻ أنت ترتفع، فاستخدم كلمة: ﴿تَعَالَوۡاْ﴾، أي ارتفعوا عن انحطاطكم.

﴿إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: ما أنزل الله ﷻ وما أمر به الرّسول ﷺ، يريد الله ﷻ أن يؤكّد باستمرارٍ على أنّ ما أمر به الرّسول ﷺ كالّذي أمر به الله جلّ وعلا، وما نهى عنه الرّسول ﷺ كالّذي نهى الله ﷻ عنه بتفويضٍ، قال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: من الآية ٧]، وقال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران]، وإلّا كان يكفي أن يقول: (وأطيعوا الله واستمعوا إلى بلاغ الرّسول)، لكنّه جلّ وعلا لم يقل ذلك، إنّما قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، فالنّبيّ ﷺ مفوّضٌ بالتّشريع، لذلك جاءت هذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾، كان الجواب:

﴿حَسۡبُنَا﴾: يكفينا، أي لا نجعل في حسابنا إلّا ما وجدنا عليه آباءنا، ولا نسير إلّا على نهجهم، وهذا هو الجمود، والإسلام أبعد ما يكون عن الجمود الّذي يتّهمونه به؛ لأنّه تطوّر في العقل.

﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾: ولو كان آباؤهم على ضلالٍ فهم يقلّدونهم تقليداً أعمى، وقد نبذ القرآن الكريم كلّ ما يتعلّق بالتّقليد الأعمى، وإنّما تأخذ الأُسوة الحسنة وتُعمل عقلك فيما جاء وما يفيد الإنسان والمجتمع بكلّ نواحيه.

(الآية ١٠٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾:

معركةٌ مستمرّةٌ بين فريقين، فريق الهداية وفريق الضّلال، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، ويقول ﷻ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران]، ويقول ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر]، ويقول النّبيّ ﷺ: «**الدّين النّصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم**»[1]، يمكن أن يعتقد الإنسان أنّ المقصود من الآية الكريمة أنّه عليه الاهتمام بنفسه دون النّظر إلى مجتمعه، ولكنّ معنى الآية الكريمة ليس كذلك بدليل أنّ سيّدنا أبا بكرٍ الصّدّيق رضي الله عنه صعد المنبر وقال: يا أيّها

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنّ الدّين النّصيحة، الحديث رقم (٥٥).

النّاس، إنّكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ النّاس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقابٍ**»(١)، هنا نقف عند موضوعٍ مهمٍّ جدّاً، يقول النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: «**ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتّى إذا رأيت شحّاً مطاعاً وهوىً متّبعاً ودنيا مؤثَرة وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بخاصّة نفسك ودع العوامّ فإنّ من ورائكم أيّاماً الصّبر فيهنّ مثل القبض على الجمر للعامل فيهنّ مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم**»(٢)، إذاً الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر هو أمرٌ مطلوبٌ، وكذلك التّواصي بالحقّ والصّبر، ولكن ليس عليك أن تجهد نفسك إذا رأيت أنّ الأمر لا يضرّك إذا لم يهتد النّاس بهدايتك، وهذا يعطيك إشارةً إلى أنّه لا إكراه في الدّين، وعليك فقط أن تبلّغ وأن تقول كلمة الخير والحقّ، وعندما نقرأ الحديث النّبويّ: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(٣)، يجب أن نفهم بأنّه عندما نقرأ قول النّبيّ ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده**» يجب أن يكون هناك سلطةٌ للمغيِّر على المغيَّر، أي أن تكون سلطة دولةٍ أو سُلطة

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب تفسير القرآن، باب سورة المائدة، الحديث رقم (٣٠٥٧).

(٢) سنن التّرمذيّ: كتاب تفسير القرآن، باب سورة المائدة، الحديث رقم (٣٠٥٨).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب ٢٠، الحديث رقم (٤٩).

أبٍ على ولده، فأنت تستطيع تغيير المنكر ومنعه ببيتك، حتّى ولو بيدك، كمنعك للسّجائر مثلاً، أمّا أن ترى إنساناً في الشّارع يشرب السّجائر أو يرتكب المعصية فتغيّر المنكر بيدك وتضربه على وجهه!! هذا لا يجوز، وليس كما فعلت الوّهابيّة وشوّهت المعاني، فعندما يكون لديك سلطةٌ داخل بيتك على ابنك، على أهلك.. فإن لم تستطع فبلسانك أي بالكلمة الطّيّبة، فإن لم تستطع حتّى باللّسان أن تقول: هذا لا يجوز، والخير هنا، والشّرّ هنا.. فعليك أن تُنكر ذلك بقلبك كما قال النّبيّ ﷺ.

(الآية ١٠٦) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾:

تعطي هذه الآية الكريمة الإنسان موضوعاً مهمّاً يتعلّق بالوصيّة، فعليه أن يدبّر أمر نفسه وهو مقبلٌ على حياته الآخرة، فأهمّ شيءٍ بموضوع الوصيّة إسقاط الدّيون، والّذي يوصي قبل الموت في غير ما يتعلّق بالميراث كما حدّد النّبيّ ﷺ إنّما يوصي اعتقاداً منه أنّه يجب عليه أن يترك هذه الدّنيا وقد فعل ما يستطيع من خيرٍ، وأن تكون هذه الوصيّة هي آخر ما قام به من عملٍ يرضي به وجه الله ﷻ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾: تأتي كلمة شهادة من مشهد،

شهد الأمر: أي الّذي تشاهده، الدّين حقٌّ، والوصيّة هي تبرّعٌ، توصي بمالك الّذي حدّده النّبيّ ﷺ، حيث قال: «**إنّ الله قد أعطى كلّ ذي حقٍّ حقّه، ألا لا وصيّة لوارث**»(١)، يجب أن ننتبه لهذه النّقطة.

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: وكأنّ الموت هو الّذي يحضر؛ لأنّ الموت سيأتي، يقول ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النّساء: من الآية ٧٨]، إدراك إحاطة.

﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: اثنان عادلان صادقان منكم في نقل الشّهادة.

﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: أي سواء كان مسلماً أم لا.

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي مسافرين.

﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾: سمّى الله ﷻ الموت مصيبةً مع أنّ الموت حقٌّ، لذلك قال المولى ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة]، لماذا الموت مصيبةٌ مع أنّه حقٌّ ولقاء الله ﷻ حقٌّ، ونعلم جميعاً أنّنا سنموت وسنرجع إلى الله ﷻ؟ الجواب: لأنّ هناك فراقاً وهناك إلفاً، بأن يكون الإنسان ضمن أسرةٍ وجيرانٍ وأهلٍ وناسٍ، واعتاد على نمطٍ من الحياة وعلى ضوابط حياتيّةٍ دنيويّةٍ، فالانتقال من حياةٍ إلى حياةٍ قد يراه الإنسان مُصاباً على غيره بفراقه، لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**إنّ**

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الوصايا، باب لا وصيّة لوارث، الحديث رقم (٢٧١٤).

العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يُرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون»[1]، فالمصيبة عند الفراق.

﴿تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: فتمسكونهم بعد الصّلاة حتّى يُعطوا الشّهادة، فيكونون أقرب للصّدق؛ لأنّهم كانوا بين يدي الله ﷻ، فالصّلاة صلةٌ ولقاءٌ مع الله ﷻ.

﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: لا يوجد أيّ ريبٍ يوجد قسمٌ.

﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾: نحن نقول الصّدق ونقول فعلاً ما وصّى به، حتّى لو كان ذا قربى، حتّى لو كان أيّ شيء، نقول الصّدق حتّى لا نكون آثمين.

(الآية ١٠٧) - ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧﴾:

﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾: أي إن شُكّ على أنّهما كذبا.

﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾: هذه قضيّة تحرّي عن العدل وعن الحقّ، أي إن أصبح هناك شكٌّ بأنّ شهادة الوصيّة غير صحيحةٍ فيُحضروا اثنين آخرين، فيحلفان: إنّ هؤلاء لكاذبون، ولم تكن الوصية كذلك.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجنائز، باب قول النّبيّ ﷺ: «**إنّا بك لمحزنون**»، الحديث رقم (١٢٤١).

﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾: هنا نستقصي الحقّ لإقامة العدل، هذا هو المقصود في الإسلام.

(الآية ١٠٨) - ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾:

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾: إذاً تحريرٌ للعدل فهذا أقرب أن تكون الشّهادة على وجهها الصّحيح حين تؤكّد عليهما تلك التّأكيدات، شهادة بما وصّى به تماماً حين الموت.

﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أو خشية من أن تردّ اليمين الكاذبة من قِبَل أصحاب الحقّ بعد حلفهم، فيفتضح الكاذب الّذي ردّت يمينه في الدّنيا وقت ظهور خيانته.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: والقضيّة هي قضيّة تقوى لله ﷻ، ويجب نقل الشّهادة بدقّةٍ، وتكون الوصيّة أمانةً؛ لذلك النّاس الّذين يناقشون بالشّهود والشّهادة، نقول لهم كلمّةً مهمّة: الشّهادة ليست عملُ عقلٍ، وإنّما هي أمانةُ نقلٍ.

﴿وَاسْمَعُوا﴾: أي أطيعوا واستجيبوا.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الفسوق: خروجٌ عن الطّاعة؛ فلأنّهم خرجوا عن الطّاعة لا تكون معهم الهداية.

(الآية ١٠٩) - ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾:

أهذا سؤالٌ للرّسل أم أنّه لمن أُرسل إليهم الرّسل؟ والجواب: هي حجّةٌ على النّاس وليس على الرّسل عليهم السلام.

﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾: ماذا أجابكم النّاس؟ هذا اليوم هو يوم الآخرة، يوم الحساب، هو اليوم الّذي يقف فيه النّاس جميعاً بين يدي الله ﷻ ربّ العالمين، في هذا اليوم يجمع الله ﷻ الخليقة والرّسل عليهم السلام، فيقول: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ ما هو جواب النّاس على الرّسالات الّتي أُرسلت إليهم من قِبَلي؟ انظروا لأدب الإيمان مع الله ﷻ ودقّة الإجابة:

﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: لماذا؟ الجواب: أوّلاً؛ لأنّ الإيمان بالله ﷻ وتصديق الرّسل يحتاج إلى نيّاتٍ، ويقول ﷺ: «**إنّما الأعمال بالنّيّات، وإنّما لامرئٍ ما نوى**»[1]، فقد يكون هناك منافقون كُثُر، وقد يكون هناك أناسٌ تابوا عند الموت، إذاً: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾؛ لأنّك تعلم الغيب، وتعلم السّرّ وأخفى، حتّى لو علمنا جزءاً فإنّك تعلمه وتعلم الكلّ، وتعلم نيّات هؤلاء النّاس مَن كان منهم قد أطاعنا فيما أمرتَ به سبحانك. فهذا مِن دقّة الجواب الإيمانيّ من قِبَل الرّسل عليهم السلام؟!

(الآية ١١٠) - ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾:

(١) سنن أبي داود: كتاب الطّلاق، باب فيما عني به الطّلاق والنّيّات، الحديث رقم (٢٢٠١).

من بين الرّسل اختصّ الله ﷻ سيّدنا عيسى ابن مريم عليه السلام بقوله: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِيَ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ ردّاً على كلّ افتراءات اليهود وما فعلوه مع سيّدنا المسيح عليه السلام، وأراد الله ﷻ أن يعدّد النّعم الّتي أنعمها على السّيّد المسيح عليه السلام وهذا من باب التّكريم العظيم بالقرآن الكريم للسّيّد المسيح عليه السلام، ليحاسب اليهود على ما اقترفوه بحقّه عليه السلام، ومحاولتهم قتله وصلبه، ولكنّ الله جل جلاله رفعه إليه ونجّاه منهم.

﴿إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾: روح القدس: جبريل عليه السلام.

﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا﴾: مجرّد كلامه بالمهد هو تبرئةٌ للسّيّدة مريم البتول، قال ﷻ: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾ [مريم]، فتكلّم في المهد دفاعاً عن السّيّدة مريم عمّا افتراه اليهود بحقّها.

﴿وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلِۖ﴾: من النِّعم بأنّ الله ﷻ علّمه الكتاب، قال العلماء: الكتب السّابقة، وعلّمه الحكمة، وتعريف الحكمة: هي وضع الشّيء في نصابه وفي زمانه وفي مكانه، فلا ينطق إلّا بالحكمة، فالكلام المحكم الصّواب بإلهام الله ﷻ هو الحكمة الّتي علّمها الله للسّيّد المسيح، أمّا الحكمة عند الرّسول محمّد ﷺ فهي سنّته وأقواله وأفعاله، (والتوراة): كتابٌ سماويٌّ نزل على اليهود عن طريق سيّدنا موسى عليه السلام، وفيها من أمور الأحكام والمادّيّات، (والإنجيل) وهو الكتاب

الّذي نزل على سيّدنا المسيح عليه السلام، وفيه من الرّوحانيات.

والآن ما يأتي فهو تعدادٌ للنّعم الّتي أنعمها الله سبحانه وتعالى على المسيح عليه السلام:

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾: تشكّل من الطّين كهيئة الطّير.

﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾: بأمر الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك كفروا به.

﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾: الأكمه: هو الأعمى، فالمسيح عليه السلام لا يجري عمليّة قرنية للعين، وإنّما بمجرّد أن يضع يده ويمسح بها على عين الأكمه تبرأ فيشفى بإذن الله عزّ وجلّ، والبرص: هو ابيضاضٌ في جلد الإنسان، يسمّونه برصاً، يمسح السّيّد المسيح بيده عليه فيشفيه بإذن الله جلّ جلاله.

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾: أيضاً إنسانٌ ميّتٌ يضع السّيّد المسيح يده عليه فبإذن الله سبحانه وتعالى يحيا، كما جرى مع سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠]، هذا بأمر الله سبحانه وتعالى من المعجزات العظيمة الّتي منّ الله عزّ وجلّ بها، وهذا هو الإسلام في القرآن الكريم يعدّد المعجزات العظيمة للسّيّد المسيح عليه السلام بإذن الله تبارك تعالى.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾: كففت؛ لأنّهم حاولوا قتله، وحاولوا صلبه، وحاولوا.. فكفّ الله سبحانه وتعالى أيديهم عنه، ورفعه إليه، ونجّاه منهم، ومع كلّ هذه المعجزات الدّالّات على صدق السّيّد المسيح عليه السلام قالوا: سحرٌ مبينٌ، كما قالوا عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم: إنّه ساحرٌ وكذّابٌ وشاعرٌ وغير

ذلك... هذا هو دأب الّذين لا يستطيعون أن يطيقوا حقيقة وحرارة الإيمان.

(الآية ١١١) - ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ١١١﴾:

بعد أن عدّد الله ﷻ النّعم الّتي أنعمها على السّيّد المسيح عليه السلام فيما يتعلّق بالتّأييد بروح القُدس وكلامه للنّاس في المهد وكهلاً، والمعجزات الّتي جاء بها.. الآن يذكر ﷻ ما يتعلّق بمن آمن بالسّيّد المسيح عليه السلام؛ لأنّه ذكر مَن كفر فقال: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾.

التّعريف اللّغويّ للحواري: الدّقيق النّقيّ الصّافي، فالحواريّون اصطلاحاً: المخلصون المحبّون لمنهج الله ﷻ، هؤلاء الّذين آمنوا بالسّيّد المسيح عليه السلام وكانوا من تلامذته.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾: الوحي: هو الإعلام بخفاءٍ، أي ألهمت هؤلاء الإيمان.

﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾: فعند إيمانك بالله ﷻ لا بدّ أن تؤمن بالرّسول الّذي أرسله الله ﷻ.

﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾: الإسلام بمعناه العامّ: هو الاستسلام لأمر الله ﷻ وطاعته والانقياد له جل جلاله فيما أمر وفيما نهى.

(الآية ١١٢) - ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١١٢﴾:

هؤلاء المخلصون المؤمنون المحبّون لمنهج الله ﷻ الأنقياء الأتقياء عندما رأوا السّيّد المسيح عليه السلام يستطيع فعل كلّ هذه المعجزات بإذن الله ﷻ،

طلبوا منه –وكأنّه تحقيقٌ للإيمان– أن يروا بأعينهم، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٠]، هو يؤمن بأنّ الله محيي الموتى، ولكنّه يريد الرّؤية للكيفيّة، وعلى هذا المنوال قال الحواريّون وهم مؤمنون: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ لذلك سمّيت سورة (المائدة).

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾: كيف تقول: إنّ الحواريّين وهم مؤمنون بالله سبحانه وتعالى ومؤمنون بالسّيّد المسيح عليه السلام ويقولون: هل يستطيع؟ والجواب: من صفات الرّبّ والإله أنّه قادرٌ على كلّ شيءٍ، وكلمة ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ هنا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾: أي هل يستجيب ربّك لطلبنا يا عيسى بأن ينزل علينا مائدةً من السّماء، فكان جواب السّيّد المسيح عليه السلام: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، حوّلهم من المعجزة الحسّيّة إلى القيم الإيمانيّة، فلا يجوز أن تقترحوا على الله سبحانه وتعالى المعجزة. فانظر لجواب السّيّد المسيح الإيجابيّ وانظر لدّقّة الإجابة.

(الآية ١١٣) - ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾:

فأجاب الحواريّون السّيد المسيح عليه السلام بقولهم: أوّلاً: رزقٌ نريد أن نأكل منها؛ لأنّها مائدةٌ من السّماء، ثانياً: لنطمئن على الكيفيّة، إذاً هي تثبيتٌ لإيمانهم.

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: تكون معجزةً للجميع قد شهدنا عليها.

(الآية ١١٤) - ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾:

دعا السّيّد المسيح عليه السلام الله جل جلاله بقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ﴾: استخدم عبارتين: (اللّهمّ) و(ربّنا)، هناك صفة الألوهيّة وصفة الرّبوبيّة، بصفة الألوهيّة قدّم الطّاعة، وصفة الألوهيّة تكون بالتّكليف الإيمانيّ، وأمّا صفة الرّبوبيّة، فالرّبّ: هو المتوليّ بالنّعم والعطاء.

﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ﴾: بدّل السّيّد المسيح عليه السلام طلب الحواريّين، هم طلبوا من الزّاوية الماديّة: ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾، المعجزات خرق اقتدارٍ من مقتدرٍ، وخرقٌ لنواميس الكون، وليس سبق ابتكار، لكنّ السّيّد المسيح عليه السلام قال: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ﴾، أي اجعلها آيةً معجزةً إيمانيّةً، وعيداً: العيد لحدثٍ عظيمٍ، إذاً أخذ النّاحية القيميّة، بعد ذلك فقال:

﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: والرّزق ليس فقط بالطّعام، لم يقل: نأكل منها، بل قدّم: ﴿عِيدًا﴾؛ لأنّه ناحيةٌ قيميّةٌ، وقدّم: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ ۖ﴾؛ لأنّها معجزةٌ حتّى تكون عيداً لنا لأوّلنا وآخرنا عبر كلّ الزّمان والمكان، تكون هذه المائدة هي آيةً دالّةً معجزةً.

(الآية ١١٥) - ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾:

هنا استجاب الله ﷻ لدعاء السّيّد المسيح عليه السلام.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لأنّك قد رأيت بعينيك المعجزة الدّالّة، فإن كفرت بعد ذلك أيّها الإنسان عند رؤيتك المعجزة سيكون العذاب مغلّظاً ومشدّداً.

طلب الحواريّون من السّيّد المسيح عليه السلام مائدةً، فبدّل السّيّد المسيح الطّلب بأن تكون آيةً وعيداً عبر كلّ زمانٍ دالّةً على وجود الله ﷻ، وعندما قال الله ﷻ للحواريّين: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ قال لهم بعد نزول المائدة: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لذلك نرى في نهاية السّورة قال السّيّد المسيح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

الآية ١١٦ - ١١٧ - ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾:

هذا ممّا يخاطب الله ﷻ به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام قائلاً له يوم القيامة: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيكون جواب سيّدنا عيسى عليه السلام: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ...﴾: إن

كان صدر متّي هذا فقد علمتَه يا ربّ، فإنّه لا يخفى عليك شيءٌ، مَا قلته ولا أردته في نفسي، ولا أضمرته.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾: أي ما دعوتهم إلّا إلى الّذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه.

(الآية ١١٨) - ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾:

انظر لأدب السّيّد المسيح عليه السلام في الطّلب من الله عزّ وجلّ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ﴾، يا ربّ، أنت الّذي خلقت، وهؤلاء عبادٌ من عبادك، فإن تعذّبهم فطلاقة القدرة والمشيئة لا نتدخّل بها، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، لم يقل: (الغفور الرّحيم)، وهذا يثبت دقّة الأداء القرآنيّ، فلو كان الإنسان هو من كتبه لكتب: (إن تعذّبهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم فإنّك أنت الغفور الرّحيم)، لا يصحّ أن يقول السّيد المسيح: الغفور الرّحيم؛ لأنّه يصبح وكأنّه قد استند على مغفرة الله سبحانه وتعالى ورحمته ليغفر لهم، لكنّه استند على عزّة الله جلّ جلاله وحكمته. العزيز: أي المستغني عن عبادة خلقه، الّذي لا يُغلب. والحكيم: الّذي يضع الشّيء في نصابه فأنت الّذي تعلم إن كانوا يستحقّون المغفرة أو لا، وهذا من دقّة القرآن الكريم.

(الآية ١١٩) - ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾:

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ﴾؛ لأنّ صدق الدّنيا يؤدّي إلى

النّفع في الآخرة، عندما كنت صادقاً مع ربّك كان الرّضا من الله ﷻ.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: أي رضوا عن عطاءات الله ﷻ الّتي لا تخطر على قلب بشرٍ، ففيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ، وهذا هو الفوز العظيم.

(الآية ١٢٠) - ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فمن يملك السّماوات والأرض يملك طلاقة القدرة في التّصرّف فيما بين السّماء والأرض في الملكوت وفي المُلك.

﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾: توقف علماء اللّغة هنا؛ لأنّ (ما): تستخدم لغير العاقل، و(مَن): تستخدم للعاقل، فعندما يتحدّث عن هذا اليوم تستوي فيه كلّ الخليقة، يشمل العاقل وغير العاقل؛ لذلك قال ﷻ: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: أتبعها بأنّه على كلّ شيءٍ، مهما كان ومهما صغُر ومهما كبُر فهو قديرٌ، وله المُلك وله المشيئة وله طلاقة القدرة سبحانه، فهو يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء، فمشيئة الله ﷻ بأن يغفر للمؤمنين وأن يعذّب الكافرين والمشركين، فلا ينصّب أحدٌ من البشر نفسَه قاضياً ليقضي بين النّاس ويقول: هذا مؤمنٌ وهذا غير مؤمنٍ، وهذا يدخل الجنّة وهذا يدخل النّار، هذه فقط لله ﷻ.

تفسير سورة
(الأنعام)
من الآية: (١ – ١١٠)

تفسير سورة (الأنعام) من الآية: ١-١١٠

سمّيت سورة (الأنعام) بهذا الاسم لوجود آيتين فيها ذُكرت فيهما الأنعام، وهما: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾، ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

وهي سورةٌ مكيّةٌ، وقد ذكرنا سابقاً أنّ المصحف الشّريف له ترتيبان: ترتيبُ نزولٍ وترتيبٌ مصحفيّ، التّرتيب المصحفيّ هو كما نشاهده من سورة (الفاتحة) حتّى سورة (النّاس) وفق التّرتيب الّذي أوقفه جبريل عليه السلام على نبيّنا المصطفى ﷺ، وهذا ترتيبٌ توقيفيٌّ لا يستطيع أحدٌ أن يتلاعب به ولا أن يغيّر منه شيئاً، أمّا ترتيب النّزول فهو يختلف؛ لأنّ أوّل آيةٍ نزلت في القرآن الكريم هي قوله ﷻ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق]، وترتيب النّزول ترتيبٌ يتعلّق بتتابع الأحداث، فهناك فترةٌ مكيّةٌ وفترةٌ مدنيّةٌ، والفترة المكيّة هي فترةٌ لتثبيت العقيدة، الإيمان بالله ﷻ، والبعث، والنّشور، والحساب، والجزاء، والتّوحيد، والنّبوّات، ... إلى غير ذلك ممّا يتعلّق بالعقيدة.. هكذا كانت السّور المكيّة.

وسورة (الأنعام) بالاتّفاق هي سورةٌ مكيّةٌ، وإن كانت بعض الآيات نزلت في المدينة ، وقد أوقفها سيّدنا جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ داخل

سورة (الأنعام) كما هو التّرتيب المصحفيّ الّذي أراده المولى ﷻ؛ لأنّ القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ المعجز بنظمه وبكلماته وبحروفه وبأسباب نزوله وبجمله وبحركات إعرابه وبكلّ شيءٍ ورد فيه.

هذه السّورة لها فضلٌ كبيرٌ، وقد ورد أنّها نزلت على رسول الله ﷺ جملةً واحدةً كما روى ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**نزلت عليّ سورة الأنعام جملةً واحدةً يشيّعها سبعون ألف ملك لهم زجلٌ بالتّسبيح والتّحميد**»(١).

(الآية ١) – ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾:

أوّل ما تبدأ به هذه السّورة الحمد، وهناك خمس سورٍ بدأت بالحمد في القرآن الكريم، هي: (الفاتحة): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، (الأنعام): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾، (الكهف): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۝١﴾، (سبأ): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾، (فاطر): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.

---

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: المجلّد السّادس، الحديث رقم (١٠٩٩١). لهم زجلٌ: أي صوتٌ رفيعٌ عالٍ.

والحمد هو شكرٌ لله ﷻ على نعمه والرّضا بقضائه، ونحن دائماً نقول: الحمد لله على (الحمد لله)؛ لأنّ الله ﷻ علّم البشر بأنّ هناك مساواةً بينهم، فقط قل: الحمد لله، فإذا أصابت الإنسان مصيبةٌ يقول: الحمد لله على قضائه؛ لأنّ الله ﷻ لا يريد إلّا الخير للبشر، والآيات في سورة (الأنعام) تتعلّق بأمور المخلوقات والأمور الماديّة، أمّا (الحمد لله) الّتي نزلت في أوّل سورة (الكهف) فهي تتعلّق بالأمور القيميّة والمعنويّة، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف]، أمّا قوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة]، فهي تشمل كلّ أنواع الحمد، على الأمور القيميّة وعلى الأمور الماديّة الّتي خلقها الله ﷻ لنا، من السّماوات والأرض والنّور والظّلمات والهواء والماء والطّعام والنّبات والأنعام وغيرها، وقد جاء الإنسان إلى الحياة ووجد كلّ شيءٍ قد أُعدّ لاستقباله جاهزاً وصالحاً، لذلك عليه أن يبدأ بحمد الله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة]، وعندما نقول: ربّ العالمين، أي مربٍّ، وصاحب النّعم على خلقه وعلى الإنسان.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: الخلق: هو الإيجاد من عدم، أمّا الجعل: فهو توجيه المخلوق إلى مهمّةٍ معيّنةٍ، هذا هو الفارق بين الخلق والجعل. والله ﷻ خلق السّماوات والأرض من عدمٍ، كن فيكون، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، لذلك عندما يريد الإنسان أن يصنع صنعةً فهذه الصّنعة لا بدّ لها من مقدّماتٍ، فمثلاً:

إن أردت صناعة كأسٍ، فستأتي بالمواد اللازمة وتجعلها مع بعضها لتحصل على ما تريد، وهذا الإنتاج لا يسمّى خلقاً؛ لأنّ الخلق لا يكون إلّا من عدمٍ، والله ﷻ خلق السّماوات والأرض وكانت قبل الإنسان فمن الّذي أخبرنا عنهنّ؟ الجواب: إنّه الله ﷻ الّذي خلقهنّ وقال ﷻ: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف]؛ لأنّ المضلّلين سيضلّلون في كلّ وقتٍ، فقال ﷻ: أنا الّذي خلقت السّماوات والأرض، وأنت أيّها الإنسان أتيت ورأيت ما فيهنّ من شمسٍ وغيومٍ وأمطارٍ وزرعٍ ونباتٍ وهواء تتنفّس منه لتعيش، وطالما أنّه لم يُشهدنا خلق السّماوات والأرض ولم نر، لذلك نحن نأخذ بمن قال: إنّه خلق السّماوات والأرض حتّى تأتي دعوةٌ أخرى ويقول أحدٌ: لا، أنا الّذي خلقت السّماوات والأرض، والله ﷻ هو الوحيد الّذي قال: أنا الّذي خلقت السّماوات والأرض، لذلك فإنّ الأمر انتهى، هذا نقاشٌ عقليٌّ وليس نقاشاً إيمانيّاً، النّقاش الإيمانيّ نحن آمنّا بالله ﷻ، وبأنّه خالق السّماوات والأرض من عدمٍ، فأديسون مثلاً اخترع المصباح الكهربائيّ، فكرّموه وجعلوا له كتباً؛ لأنّه أضاء المصباح، ولكن ما هو موقفنا من خالق الشّمس الّتي تضيء من قبل أن تُخلق البشريّة ولم يطرأ على ضيائها طارئٌ منذ ذلك الوقت حتّى الآن؟ أفلا يستوجب خالقها أن نقول له: الحمد لله؟! هذا مثالٌ بسيطٌ كيف يكرّم النّاس من يخترع، مع أنّه لم يُنشئ ولم يقم بعمليّة خلق، فكلّ هذه الاختراعات الّتي تمّت هي موجودةٌ، ولكن جاء وقتٌ واستطاع إنسانٌ

ما أن يسلّط الضّوء عليها بعلمه فاخترعها، أي أظهر وجودها، وكذلك قانون الجاذبيّة قبل أن يُكتشف كان موجوداً، وذكره القرآن الكريم: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر]، عرفنا أنّ الله ﷻ خلق السّماوات والأرض، وكما ذكرنا سابقاً: إن جلس مجموعةٌ من النّاس في غرفةٍ، وطرق طارقٌ الباب، نحن نتّفق على أنّ طرقةً قد حدثت، لكن أنا أقول: إنّه محمّد، وآخر يقول: أحمد، وآخر يقول: محمود، وآخر يقول: الهواء، وآخر يقول: هرّة..، اختلف الجميع على ماهيّة هذا الحدث، لكنّ الحدث وهو طرقُ الباب قد تمّ، فننتظر حتّى يذكر الطّارق من هو ويعرّف عن نفسه، فإذا عرّف عن نفسه انتهى الأمر، ولله ﷻ المثل الأعلى، فعندما خُلقنا وجدنا السّماوات والأرض والشّمس والهواء و.. فمن الّذي خلقهم؟ والجواب: لقد أرسل الله ﷻ رسلاً مبلّغين عنه ﷻ بأنّه هو خالق السّماوات والأرض جلّ وعلا.

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾: انظر إلى دقّة القرآن الكريم، جمع الظّلمات، ولم يقل: الظّلمة والنّور، بينما قال: النّور مفردٌ، لماذا؟ لأنّ الظّلمات متعدّدةٌ، فظلمة اللّيل، وظلمة البحر، وظلمة الكهف، وظلمة النّفس.. فالظّلمات متعدّدةٌ، لكنّ النّور نورٌ واحدٌ وهو نور الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام]، خطّ النّبيّ ﷺ خطّاً مستقيماً، وخطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي

﴿مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾، إذاً الظّلمات متعدّدةٌ، لكنّ النّور نورٌ واحدٌ وهو نور الهداية، والظّلمة سابقةٌ للنّور، وهي أمرٌ عدميٌّ، أمّا النّور فأمرٌ إيجاديٌّ، والنّور يبدِّد الظّلمة، فالكون مُظلمٌ كما اكتشفه العلماء، والله ﷻ يريدنا أن نعلم بأنّ موضوع الظّلمات والنّور ليس موضوعاً مادّيّاً فقط، نراه من تعاقب اللّيل والنّهار نتيجة دوران الأرض حول نفسها، بل هناك موضوعٌ معنويٌّ أيضاً، وهو نور القيم الّتي تضيء ظلمات النّفس وظلمات الجهل والشّرك، وقد بيّن الله ﷻ في هذه الآية بأنّه خلق السّماوات والأرض وجعل الظّلمات والنّور ومع ذلك:

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾: ثمّ: أي على التّراخي، عبر كلّ الأزمان هناك من يعدل؛ أي يساوي المخلوقات مع الله ﷻ.

﴿يَعۡدِلُونَ﴾: يعدلون عن عبادة الله ﷻ ويساوون خلقه به سبحانه وتعالى عمّا يقولون عُلوّاً كبيراً.

(الآية ٢) - ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ٢﴾:

يبيّن المولى ﷻ أنّه خلقنا من طينٍ، قال ﷻ: ﴿*مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف]، نحن لا نعلم شيئاً عن خلقنا، نحن نرى عمليّة التّزاوج الّتي تتمّ بين الرّجل والمرأة ومن ثمّ تتمّ الولادة وإنتاج الأجيال القادمة، نحن لم نر كيف تمّ الخلق الأوّل، وكيف خُلق الإنسان أوّل مرّةٍ، الخالق ﷻ هو الّذي يُخبرنا طالما أنّنا

لم نشهد ذلك، لكنّه وضع لنا عقلاً لنفكّر به ونستنتج ونحلّل فيتبيّن معنا كلّ ما ورد في القرآن الكريم، فكلّما تطوّر العقل البشريّ وتطوّر العلم ازددنا إيماناً بأنّ الله ﷻ ما قال إلّا الحقّ، ولكنّنا كنّا لا نعرف ذلك.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾: هو يقول ﷻ: بأنّه خلقنا من طين، لكن ورد في سورٍ أخرى أنّه ﷻ خلقنا من ماءٍ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: من الآية ٣٠]، وقال مرّةً: بأنّه خلقنا من ترابٍ، ومرّةً أخرى من صلصالٍ.. هذه ليست متعارضات، وإنّما متكاملات؛ لأنّ الله ﷻ خلقنا من ماءٍ، والماء مع التّراب يعطي طيناً، والطّين إذا تُرك فترةً يصبح صلصالاً، فإذا أخذ مدّةً يصبح حمأً مسنوناً، ثمّ قال ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر]، فآخر شيءٍ كان في الخلق هو إدخال الرّوح على هذه التّسوية الّتي سوّاها الله ﷻ، إذاً خلقنا من ترابٍ، وخلقنا من طينٍ، ومن حمأٍ مسنونٍ، وخلقنا من ماءٍ، متكاملاتٌ لا متقابلاتٌ، فالله جلّ وعلا خلقنا من طينٍ كما أخبرنا، فإذا حللّناه يتبيّن أنّ مكوّنات الطّين هي ذاتها مكوّنات الإنسان، وهنا يقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾، فالعناصر كالأوكسجين والكربون والهيدروجين والفلور والكلور والصّوديوم والمغنيزيوم والبوتاسيوم والحديد والسّيللوز والمنغنيز كلّها موجودةٌ في الإنسان، وهي العناصر المشكّلة للطّين، هذا بالعلم الحديث، نحن لم نشهد الخلق لكنّنا شهدنا الموت، وهو نقضٌ للخلق، ونقض الشّيء يبدأ بالعكس، فعند موت الإنسان يتبيّن لنا صحّة ما جاء في ترتيب القرآن الكريم لخلق

الإنسان، فأوّل شيءٍ يخرج منه هو آخر شيءٍ دخل إليه، فتخرج الرّوح أوّلاً، ولا نعرف ماهيّة الرّوح ولا أيّ شيءٍ عنها، ونفخ الرّوح في الإنسان كان بعد التّسوية من ماءٍ وترابٍ، وبعد خروجها يُترك الجثمان ويجفّ فيصبح صلصالاً كالفخّار، ثمّ حمأً مسنوناً، ثمّ يصيبه النّتن والعفن فيصبح طيناً، ثمّ يخرج منه الماء فيرجع تراباً، بالتّسلسل ذاته الّذي حدّثنا به المولى ﷻ عن خلق الإنسان نراه في موته.

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: نفهم من هذه الآية الكريمة بأنّه يوجد أجلان، الأجل الأوّل: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ وهو أجل كلّ إنسان: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف]، وهو عمر الإنسان في الحياة، بعد ذلك قال: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾، وهو أجل البقاء في البرزخ حتّى يوم البعث، إذاً يوجد أجلان، الأجل الأوّل حياتك في الدّنيا، والأجل الثّاني هو البقاء في القبر حتّى يوم البعث.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾: أنتم تشكّون وتشكّكون، وهذا لم نره فقط عند نزول القرآن الكريم، وإنّما هذا موجودٌ في كلّ زمانٍ، وفي كلّ وقتٍ هناك من يشكّك ويقول: إنّ هذه الحياة هي النّهاية، ولا يوجد خالقٌ، فبيّن ﷻ أنّ هذا الشّكّ يجب أن نزيله من عقولنا وذلك ليس بالقول فقط: بأنّنا آمنّا، بل بالعقل والدّليل والبرهان، فهو يبرهن على ذلك عندما قال ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾.

(الآية ٣) - ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾:

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: (ٱللَّهُ) ﷻ اسم علمٍ على واجد الوجود ﷻ، سمّى الله ﷻ به نفسه، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: من الآية ٦٥]؟ فهل يجرؤ إنسانٌ على أن يسمّي نفسه: (ٱللَّهُ)، أو أن يسمّي ابنه: (ٱللَّهُ) منذ أن خلق الله جلّ وعلا آدم عليه السلام وحتّى الآن؟ الجواب: أبداً، فهذا الاسم هو الّذي اختاره لنفسه، وهو الجامع لكلّ صفات الكمال، أمّا الصّفات الأخرى والّتي نسمّيها الأسماء الحسنى: الحيّ، القيّوم، الحليم... فكلّها صفاتٌ.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: سيقول قائلٌ: هو الله في السّماوات وفي الأرض، المشكلة أنّه قد حدّدت مكاناً، والجواب: لا، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: أي هو المطاع، ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لأنّ صفة الألوهيّة تستوجب العبادة، والعبادة تعني الطّاعة، إذاً هو المُطاع في السّماوات من قِبَل الملائكة وفي الأرض من قِبَل البشر، وهناك فارقٌ بين وجود الشّيء وبين إدراك الشّيء، إيّاك أن تخلط الوجود بالإدراك، قال ﷻ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام]، ليس معنى أنّني لا أدرك شيئاً أنّه غير موجودٍ، هناك كثيرٌ من الأمور نؤمن بوجودها ولا ندركها بحواسّنا، وذكرنا أمثلةً كثيرةً على ذلك، فإذا كنّا في غرفةٍ فنحن لا نرى الجراثيم ولا ندركها، ولكن هل معنى بأنّنا لم نستطع أن نتلمّسها بحواسّنا: بالبصر أو السّمع أو اللّمس أنّها غير موجودة؟ الجواب: هي موجودةٌ مع أنّنا لا

ندركها، فعلينا ألّا نخلط بين الإدراك والوجود، فالله ﷻ موجودٌ ولكن لا ندركه، فهو ﷻ غيبٌ بالنّسبة لنا.

هناك آيةٌ أخرى تقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزّخرف]، فقال المشكّكون والمغرضون: هو الّذي في السّماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ بالتّنكير، فطالما أنّها نكرةٌ فإذاً يوجد إلهان، حتّى جاء أحد العلماء وكان أعمى فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ اسمٌ موصولٌ، أي معرفة، ومعنى الآية أنّه يُطاع في السّماء ويُطاع في الأرض، وليس هناك ظرفٌ، ولا يخضع المولى تبارك وتعالى لظرفيّة المكان ولا لظرفيّة الزّمان.

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾: الله ﷻ يعلم السّرّ؛ لأنّ الأعمال بالنّيّات، قال بعضهم: طالما أنّه يعلم السّرّ، فلماذا أتى على كلمة الجهر؟ الجواب: حتّى لا يعتقد إنسانٌ أنّ الله ﷻ يعلم السّرّ ولا يعلم الجهر، فلو وُجد عشرة آلاف إنسانٍ في مكانٍ واحدٍ، وكانوا يقولون أقوالاً متعدّدةً، فهذا جهرٌ يعلمه الله ﷻ ويعلم كلّ كلمةٍ تُقال.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: يعلم ﷻ ما نكسب: أي ما نعمل، وعلم الله تعالى وحكمته لا تلغي ولا تنفي الأسباب، وربط الأسباب بالمسبّبات، وهذه مهمّةٌ جدّاً، ويجب أن ننتبه أنّه لا جبر ولا إكراه؛ لأنّ قدر الله ﷻ معناه ربط المسبّبات بالأسباب، والله ﷻ حكيمٌ وعليمٌ، ولا تعارض بين إرادة الله ﷻ وبين ما نكسب من خلال عدم الجبر ومن خلال الاختيار، ولنبسّط الأمر أكثر من ذلك ستقول: بأنّ الله ﷻ يعلم ما نكسب ويعلم

ما نعمل، فإذاً لماذا يُحاسبنا على ما نعمل؟ أنا مجبرٌ على عملي ولست مخيّراً به، ستطلق هذا القول باعتبار أنّ الله ﷻ يعلم، فإذاً أنا مكتوبٌ عليّ ما سأقوم به من عملٍ فلماذا يُحاسبني؟ وهذا يعني أنّي مجبورٌ، فإذا ارتكبت أخطاءً ومعاصي فهي بعلم الله ﷻ وبإرادته، ولست أنا المذنب بذلك، هذا قولٌ يُقال للتّشكيك، نحن نريد أن تنطبق صفات الله ﷻ على عقلنا ومحدوديّة عقلنا، فنطبّق ما نتعارف عليه أو ما يطيق عقلنا، نطبّقه على مولانا ﷻ، وهذا خطأٌ كبيرٌ، الله ﷻ ربط الأسباب بالمسبّبات، قال لك: إذا شربتَ ذهب الظّمأ، وإذا أكلتَ ذهب الجوع، وأنت حرٌّ في أن تأكل أو لا تأكل، إذا لم تأكل أو تشرب فستموت، فتقول: ليس ذنبي بأنّ الله تعالى يعلم ذلك، علم الله ﷻ الكاشف لا علاقة له بربط الأسباب بالمسبّبات، الله ﷻ لا يسألك عن علمه؛ لأنّك لا تدري ماهيّة علم الله تبارك وتعالى ولا كيفيّته، الله ﷻ بيّن لك الطّريق، بيّن لك الصّواب والخطأ، ربط الأسباب بالمسبّبات، هذه الأسباب تؤدّي إلى هذه النّتائج، فأنت مسؤولٌ عن أخذك بالأسباب لتصل إلى النّتائج، أمّا كون الله ﷻ يعلم مسبقاً فهو لا يُحاسبك على علمه، بل يُحاسبك على عملك، أمّا كيفيّة علم الله ﷻ وقدره وحكمته فهذه مختصّةٌ بالذّات الإلهيّة الّتي لا تُدركها ولا يمكن أن ندركها على الإطلاق، فأنا أختار الطّريق وأختار الوسيلة وأختار السّبب، وقد ترك لي هذا العقل وأمانة العقل لأختار بين البدائل، وقال لي: هذا هو طريق الصّواب، وهذا طريق الخطأ، فإذا أخطأت فأنت مسؤولٌ عن الخطأ ولا علاقة لك بما يعلم مسبقاً أو ما كُتب.

(الآية ٤) - ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤﴾:

يبيّن المولى ﷻ أنّه لا يُطالب الخلق بالإيمان إلّا بالدّليل، لذلك أرسل الآيات، ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾: هناك آياتٌ كثيرةٌ، الآيات الدّالّة على صدق المبلِّغين عن الله ﷻ، فإمّا أن تكون هذه الآيات معجزاتٍ كونيّة كآيات الشّمس والقمر والهواء والنّور واللّيل والنّهار وخلق الإنسان وما يجري مع الإنسان في هذه الحياة..، وإمّا أن تكون معجزاتٍ جاءت لتؤيّد الرّسل في البلاغ عن الله ﷻ، مثل: معجزة نوحٍ عليه السلام، ومعجزة هود عليه السلام، ومعجزة صالح عليه السلام، ومعجزة إبراهيم عليه السلام بأن نجّاه من النّيران، ومعجزة موسى عليه السلام بشقّ البحر، ومعجزة عيسى عليه السلام بإحياء الموتى، ومعجزة نبيّنا محمّدٍ ﷺ وهي القرآن الكريم، تلك آيات القرآن الكريم فالمعجزات هي كلماتٌ؛ لذلك قال المولى ﷻ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [الفرقان]، أي بكلمات القرآن الكريم، ففي كلّ كلمةٍ معجزةٌ من المعجزات، ودليلٌ من الأدلّة، وكنّا قد تحدّثنا سابقاً عن خلق السّماوات والأرض وما يتعلّق بالنّور والظّلمات، كلّ هذه الأمور الّتي ترد في كتاب الله جلّ وعلا عن الخلق من طينٍ وعن الخلق من ترابٍ ومن ماءٍ.. إلخ.

(الآية ٥) - ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٥﴾:

إذاً ثلاث مراحل: إعراضٌ وتكذيبٌ واستهزاءٌ، وهذه نراها حتّى الآن

في كلّ وقتٍ وفي كلّ حينٍ، فعندما يرى المشكّكون الآيات البيّنات الواضحات، والدّلائل العلميّة القاطعة، أوّلاً: يُعرضون، ثانياً: يكذّبون، ثالثاً: يستهزئون، عندما لا يستطيعون النّقاش ولا الحوار يصلون إلى مرحلة الاستهزاء بالإيمان، وهذا ما بيّنه المولى ﷻ فيما جرى مع رسول الله ﷺ، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: سوف يأتي أنباء ما كانوا به يستهزئون في يوم الحساب، واليوم الّذي تُنشر فيه الصّحف، كما قال ﷻ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشّعراء: من الآية ٢٢٧].

(الآية ٦) - ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾:

انظروا إلى الأدلّة العلميّة الرّائعة: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾، هنا الرّؤية سيّدة الأدلّة، فهناك فرقٌ بين أن تسمع وبين أن ترى، فعندما تسمع قد يكون هناك إشكالٌ بالسّمع، أمّا أن ترى، فهذه حُجّةٌ ليس بعدها حُجّة، وليس مع العين أين، انتهى الأمر.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾: الخطاب هنا للمشركين الّذين يذهبون برحلة الشّتاء والصّيف وهم يرون بأمّ أعينهم، فماذا يرون؟ الجواب: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾، القرن: هو مجموع السّنوات الّتي تجمع جيلاً كاملاً، وحُدّد القرن بمئة سنة كما هو متعارفٌ عليه، فالقرن جيلٌ يحكمه زمنٌ معيّنٌ، ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾: انظروا إلى القرون السّابقة.

﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾: لقد مرّوا على آثار عادٍ قوم هود عليه السّلام، وآثار ثمود قوم صالح عليه السلام، وسبأ، ورأوا بأمّ العين ماذا جرى معهم، فهذه الآثار باقيةٌ وشاهدةٌ على تلك الأقوام.

﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي كانت لهم قوّةٌ في الأرض وعِمارةٌ وحضارةٌ.

﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾: أي كانوا أكثر ممّا أنتم فيه.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾: أرسلنا السّماء بالخيرات وبالعطاء عليهم.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾: كلّ العطاءات والخيرات من الله ﷻ.

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: كل هذا لم يفدهم؛ لأنّهم أشركوا وكفروا بنعم الله ﷻ فأذاقهم وبال ذلك.

﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾: جاءت من بعدهم قرونٌ أخرى، وتعاقبت الحضارات بعد كلّ ما بنوه، فيجب على الإنسان أن يعتبر من القرون السّابقة، هل خلّد أحدٌ؟ هل بقي أحدٌ؟ هل تمكّن أحدٌ؟.

(الآية ٧) - ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾:

لأنّهم طلبوا أن ينزل الكتاب بورقٍ مكتوبٍ في قرطاسٍ من السّماء على رسول الله ﷺ، فأجابهم المولى جلّ وعلا: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾.

﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: سحرٌ واضحٌ، إذاً هناك إنكارٌ للحقيقة، وإنكارٌ للأدلّة العقليّة والعلميّة والحسّيّة أيضاً؛ لأنّ المعجزات الّتي

جاءت على أيدي الرّسل هي معجزاتٌ حسيّةٌ شهدها من شهدها، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ومنهم من قال: بأنّها سحرٌ مبينٌ.

(الآية ٨) – ﴿وَقَالُوا۟ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾:

﴿وَقَالُوا۟ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌۖ﴾: ولو نزل مَلَكٌ فسينزل بهيئة بشر، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام].

﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: لو أنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يكون النّاس خاضعين ومؤمنين لانتهى الأمر، ولأَهْلَكهم عندما رأوا البيّنة والمعجزة ولم يؤمنوا بها، ولو أنزل الله سبحانه وتعالى ملَكاً لشكّكوا أيضاً في هذا المَلَك.

﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: أي لا يُمهَلون، بل يأتيهم العذاب.

(الآية ٩) – ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩﴾:

هم يؤمنون بخلقٍ اسمه الملائكة، والله سبحانه وتعالى أخبرنا عنهم، وأخبرنا عن خلقٍ آخر اسمه الجنّ، ونحن لا ندرك هذه العوالم لكنّنا نؤمن بها؛ لأنّ الّذي أخبرنا هو الخالق سبحانه وتعالى، وذلك يكفينا، وليس كلّ ما لا ندركه معناه أنّه غير موجودٍ.

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾: الاستعدادات البشريّة والعقليّة الموضوعة في جسد الإنسان لا تتحمّل رؤية مَلَك بهيئته الملائكيّة، فلو أراد إنزال مَلَكٍ لجعله بشراً مثل ما أتى سيّدنا جبريل عليه السلام بصورة رجلٍ شديد بياض الثّياب، شديد سواد الشّعر.

(الآية ١٠) - ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾:

ضرب الله ﷻ مثلاً بسيّدنا نوح عليه السلام: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود]، وكانوا يستهزئون به ويضحكون منه عندما كان يصنع الفلك، وكذلك استهزؤوا بصالح وشعيب وهود وإبراهيم ويوسف وبكلّ الأنبياء عليهم السلام لذلك يسلّي الله ﷻ قلب النّبيّ المصطفى ﷺ ويقول: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، لكن أريد أن أرى النّتيجة: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

(الآية ١١) - ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾:

يطلب المولى ﷻ منّا الاعتبار، والمحاكمة العقليّة، والحجّة، والبرهان، والدّليل، فقال جلّ جلاله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾: انظروا: أي تفكّروا.

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: لننظر إلى المكذّبين عبر كلّ التّاريخ كيف كانت عاقبتهم، ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾، اقرؤوا كلّ التّاريخ، وانظروا وادرسوا واعقلوا واعلموا.

ولنتأمّل دقّة الآية من النّاحية العلميّة أيضاً: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: فلو

أنّها من عند غير الله ﷻ لكانت: (سيروا على الأرض)؛ لأنّك تسير على الأرض، ولن يقول أحدٌ: سيروا في الأرض، لكنّ طبقة الغلاف الجويّ هي جزءٌ لا يتجزّأ من الأرض، تدور وتتحرّك معها، وأنت تتنّفس من خلالها، لذلك فأنت تسير في الأرض لا على الأرض؛ لأنّك لو تسير على الأرض فمعناه أنّك تسير فوق الغلاف الجوّيّ. والقرآن الكريم يأتي بها بكلّ دقّةٍ علميّةٍ، بحيث يستطيع العقل البشريّ استيعابها، وعندما يتطوّر العقل البشريّ يعلم بأنّ هذا كلام الله ﷻ، كلام العليم الحكيم الخبير الرّحيم الرّؤوف التّوّاب الحكيم، الّذي لا يقول كلمةً إلّا وتكون هذه الكلمة دقيقة في العلم الّذي لم نصل إليه بعد، وسيأتي زمانٌ يصل فيه علماؤه إلى ما لم نصل إليه.

(الآية ١٢) - ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢﴾:

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: هذا أيضاً احتجاجٌ عليهم؛ والمعنى قل لهم يا محمّد: لمن ما في السّماوات والأرض؟ أي إذا ثبت أنّ الله ﷻ له ما في السّماوات والأرض، وأنّه خالق كلّ شيءٍ إمّا باعترافهم أو بقيام الحجّة عليهم، فالله ﷻ قادرٌ على أن يعاجلهم بالعقاب، ويبعثهم بعد الموت، ولكنّه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾: أي وعد بها فضلاً منه وكرماً، فلذلك أمهل، فأخبر ﷻ بأنه رحيمٌ بعباده لا يعجَل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتّوبة.

﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾: اللّام: لام القسم، والنّون: نون التّأكيد. أي ليمهلنّكم وليؤخرّن جمعكم. وقيل: المعنى ليجمعنّكم أي: في القبور إلى اليوم الّذي أنكرتموه. وقيل: (إلى) بمعنى: (في)، أي: ليجمعنّكم في يوم القيامة.

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾: لا شكّ فيه.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: ابتداءٌ وخبرٌ، تقول: الّذي يكرمني فله درهمٌ، فالفاء تتضمّن معنى الشّرط والجزاء.

(الآية ١٣) - ﴿۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾:

﴿۞وَلَهُۥ﴾: الهاء تعود لله ﷻ، اللّيل والنّهار هما ظرفا الزّمان.

﴿۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾: أي له ﷻ السّاكن، وكذلك له ﷻ ما يتحرّك بالكون، فكلّ متحرّكٍ يؤول أمره إلى السّكون؛ لأنّه لا يستطيع أن يبقى متحرّكاً باستمرار، فالإنسان يتحرّك في النّهار ويسكن في اللّيل، فهو لا يعمل أثناء النّوم، وكذلك عقله لا يعمل أثناء النّوم إلّا لسبع ثوانٍ تقريباً، لكن عمليّاً جسده ساكنٌ، فالله ﷻ له ما سكن في اللّيل والنّهار، وله ما تحّرك باللّيل والنّهار.

وقد يكون المراد من كلمة: ﴿سَكَنَ﴾: ما حلّ في اللّيل والنّهار، كما قال ﷻ: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: من الآية ٣٥]، في اللّغة العربيّة: له ما سكن معناه: إمّا توقّف عن الحركة أو حلّ في المكان.

إذاً له ظرفيّة الزّمان، وله ظرفيّة المكان، والكون هو ظرفٌ قارّ، أي شيءٌ ثابتٌ، والزّمان ظرفٌ غير قارّ أي غير ثابتٍ، والله ﷻ خلق الزّمان

والمكان، ولا يمكن أن تقول: بأنّك تريد أن تضع الحسابات العقليّة البشريّة لظرفيّ الزّمان والمكان وتطبّقها على خالق الزّمان والمكان.

والإنسان في حياته حدثٌ يقع عليه، وحدثٌ يقع فيه، وحدثٌ يقع منه، فالحدث الّذي يقع عليه لا دخل له فيه، والحدث الّذي يقع فيه، كأن يمرض مثلاً، لا دخل له فيه أيضاً، فقط له أمرٌ واحدٌ وهو حدثٌ يقع منه، وهو الّذي يؤدّي إلى دخوله الجنّة أو النّار، وهو محكومٌ بين قوسين لا اختيار له بهما: قوس الولادة وقوس الموت.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: فهو يسمع كلّ ما يقوله الإنسان، وهو عليمٌ بذات الصّدور، وبنيّات الإنسان.

(الآية ١٤) - ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤﴾:

﴿أَغَيۡرَ﴾: الهمزة هنا همزة إنكار، مثال: أتسبُّ أباك؟! فأنت تُنكر على هذا الإنسان أنّه يسبُّ أباه، فهذه الهمزة استنكارٌ وليست همزة استفهامٍ.

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾: استنكارٌ وتوبيخٌ ولومٌ، تستنكر أن يتّخذ النّاس وليّاً غير فاطر السّماوات والأرض.

﴿أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾: عندما تقول: وليي الله ﷻ، فأنت تجعل أمرك بين يديّ الله جلّ وعلا، فهو ﷻ لا يعتريه الأغيار، هو قويٌّ ويبقى قويّاً، وهو

حيٌّ ويبقى حيّاً، وهو كريمٌ ويبقى كريماً، وهو قادرٌ ويبقى قادراً، فإن جعلت وليّاً غير الله ﷻ قد يكون قويّاً وبعد ذلك يضعُف؛ لأنّه عالم أغيار، قد يكون غنيّاً وبعد ذلك يفتقر، قد يكون موجوداً وقد لا تجده في أيّ وقتٍ، فمن رحمة الله ﷻ بخلقه بأنّه هو الوليّ، وجعل الإنسان يسلّم أمره له ﷻ.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ لماذا؟ الجواب: لأنّه خالق السّماوات والأرض، فاطر السّماوات والأرض، وهو الإله الّذي جاءت كمالاته في كلّ الآيات، فهو الجدير بالعبادة ﷻ، الإنسان تطرأ عليه أحداثٌ تؤكّد أنّه ضعيفٌ، فلا بدّ للإنسان من أن يأوي إلى من هو أشدّ منه قوّةً، فيلجأ إلى القوّي العزيز.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: كلمة فاطر تأتي بعدّة معانٍ، وفاطر أي خالق السّماوات والأرض، وكلمة فاطر لها علاقة بشقّ الجملة ذاتها، يقول جلّ وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء]، وفطور: تعني شقوق، وفاطر تعني خالق، وقد استنتج بعض العلماء من هذا الكلام بأنّ الله ﷻ خالق السّماوات والأرض استخدم كلمة فاطر؛ لأنّ طريقة الخلق كانت بطريقة التّشقّق الّتي تلت الانفجار الكونيّ الّذي أثبته العلم.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: لماذا جاء بكلمة: يُطعم؟ الجواب: يوجد رزقٌ مباشرٌ ورزقٌ غير مباشرٍ، وليس من الضّروري أن يكون الرّزق طعاماً أو شراباً، لكنّه أتى بالطّعام؛ لأنّه وقود الإنسان في حياته، وهو رزقٌ مباشرٌ

يأتي من خلق الله ﷻ من النّبات والأنعام والماء كما قال جلّ وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: من الآية ٣٠]، فالمولى ﷻ عندما يقول: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: أي أنّ الله ﷻ يعطي ولا يحتاج إلى عطاءٍ، الله ﷻ يرزق ولا يحتاج إلى رزقٍ، يبيّن الله ﷻ بهذا الأمر أنّ العبادة له هي عطاءٌ لخلقه منه وليس العكس، فأن تكون عبداً لله ﷻ فهذا أكبر حريّةٍ للإنسان، وجميع الّذين نادوا للحريّة على وجه الأرض لم يستطيعوا أن يصلوا إلى معنى الحريّة بمعنى العبوديّة؛ لأنّك إن كنت عبداً لله ﷻ فأنت حرٌّ من أيّ عبوديّةٍ لخلق الله، ومن كلّ القوى على وجه الأرض؛ لأنّك تعلم بأنّه لا يضرّ ولا ينفع، ولا يُعطي ولا يمنع، ولا يصل ولا يقطع، ولا يخفض ولا يرفع إلّا الله ﷻ، وأنّه هو المحيي والمميت والمعزّ والمذلّ...، لذلك العابد والطّائع لله ﷻ يكون أكثر النّاس تحرّراً فيما يتعلّق بكلّ القوى الموجودة على الأرض، وأيضاً يكون متحرّراً من شهواته.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: أي أوّل من أطاع؛ لأنّ الإسلام هو الاستسلام لأمر الله ﷻ، فالنّبيّ ﷺ عندما قال لنا: افعل ولا تفعل، هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، فهو أوّل مطبّقٍ لذلك؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿قُلْ﴾ يا محمّد: ﴿إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: أي أوّل من سلّم قيادة أمره لله ﷻ وأطاع أوامره جلّ وعلا.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: ليس الشّرك فقط عبادة الأصنام والتّماثيل وعبادة الشّمس، فهناك شركٌ خفيٌّ، وهناك شركٌ بالله ﷻ بأن يتّخذ

الإنسان من هواه إلهاً غير الله ﷻ فيتّبع الشّهوات؛ لأنّ العبادة لله ﷻ هي طاعةٌ.

(الآية ١٥) - ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾:

لا يستطيع أن يغيّر قدر الله إلّا هو ﷻ، والمعصوم ﷺ يعلن أنّه يخاف الله ﷻ، وقد علّق الخوف على شرطٍ هو عصيان الله ﷻ، ولا يأتي ذلك من الرّسول المعصوم؛ لأنّه لا يعصي الله ﷻ أبداً، ولكن ما دام لم يعصِ ربّه فهو لا يخاف لوجود ﴿إِنْ﴾ في قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾، وهذا تعليمٌ لأمّة محمّد ﷺ بأنّ سبب الخوف هو العصيان والتّمرّد على أوامر الله ﷻ.

(الآية ١٦) - ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾:

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾: طالما أنّ الإنسان أسلم أمره لله ﷻ، وجعل قياد أمره له جلّ وعلا، وجعل طاعة الله ﷻ نصب عينيه، فقد رحمه.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾؛ لأنّ رحمة الله ﷻ قريب من المحسنين، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: من الآية ٥٦]، الإنسان يذهل من بلاغة القرآن الكريم، بعقلنا البشريّ نعتقد أنّها يجب أن تكون: (قريبةً من المحسنين)؛ لأنّ رحمة مؤنث، لكنّه ﷻ يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾؛ لأنّه يريد أن يقول لك: بأنّ الله ﷻ هو القريب، وهو الرّحيم.

﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: الفوز الواضح البيّن إذا صُرف عنه العذاب؛

لأنّ الآية الّتي قبلها: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾، من يصرف عنه العذاب يومئذٍ فقد رحمه، أي أنّ الرّحمة وقعت لمن صُرف عنه العذاب، وهذا هو الفوز المبين.

(الآية ١٧) - ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾:

الضّرّ: هو ما يصيب الكائن الحيّ ممّا يُخرجه عن استقامة حياته، في صحته أو في حاله أو ماله أو رزقه أو عطائه، فالآلام منبّهاتٌ للنّعم، فالإنسان صحيحٌ، فإذا مرض تنبّه لنعمةٍ غفل عنها، وعن الشّكر عليها، وهي نعمة الصّحّة، قال النّبيّ ﷺ: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النّاس، الصّحّة والفراغ**»[1]، الآفات والآلام كلّها منبّهاتٌ للنّعم، لذلك لحظة الكرب يقول الإنسان: يا ربّ، ويلجأ ويفزع إلى الله ﷻ، الطّبيب لا يشفي، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشّعراء]، أنت مأمورٌ بالعلاج، وبالذّهاب إلى الطّبيب، ولكنّ الشّافي هو ربّ الطّبيب وليس الطّبيب، لذلك تجد الكثيرين من الأطبّاء يؤمنون بالله ﷻ من خلال ما يرونه من معجزاتٍ في خلقه، ويعلمون بأنّ الشّفاء ليس بأيديهم، هم يشخّصون المرض ويعطون الدّواء ويقولون: الأمر بيد الله ﷻ، كما قال الشّاعر:

إنَّ الطّبيبَ لهُ علمٌ يُدِلُّ بِهِ إن كان للمرءِ في الأيّامِ تأخيرُ

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب ما جاء في الصّحّة والفراغ، وأن لا عيش إلّا عيش الآخرة، الحديث رقم (٦٠٤٩).

حتّى إذا ما انتهت أيّامُ رحلتِه حارَ الطّبيبُ وخانتــه العقاقيرُ

هذا واقعٌ لكلّ النّاس، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾، هل تتمّة الآية: فلا معطٍ له إلّا هو؟ الجواب: لا، انظروا إلى دقّة القرآن الكريم، بتوازن الآية في الذّهن البشريّ تكون: (وإن يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له إلّا هو، وإن يمسسك بخيرٍ فلا معطٍ له إلّا هو)، لكن تتمّة الآية كانت:

﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾: ليس هذا الخير فقط، وفوقه أضعافٌ وأضعافٌ وأكثر من ذلك بكثيرٍ، فجاء تذييل الآية: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾.

(الآية ١٨) - ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾:

هو القاهر القدير الحكيم الخبير، والخبير هو الّذي يضع الأمور في نصابها.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: غالبٌ على أمره، لا يترك الأمر للأسباب والمسبّبات، مع أنّه رتّب ﷻ الكون والخلق بأسبابٍ ومسبّباتٍ، وجعل واسطةً بين الشّيء والشّيء، الأرض واسطةٌ لاستقبال النّبات، والإنسان واسطةٌ بين أبيه وابنه... إلخ، ربط هذه الأسباب، لكنّه القاهر فوق عباده، يخرق الأسباب متى شاء وأينما يشاء، ليُعلن طلاقة القدرة الإلهيّة في أمورٍ يراها الإنسان في مختلف مناحي الحياة فقد يقع الإنسان من مكانٍ مرتفعٍ ويقوم صحيحاً لم يمت، وتجد آخر يتعثّر بسجادةٍ فيقع ويموت،

وتجد إنساناً يقول الأطبّاء: لا أمل من شفائه فيشفى.. إذاً هناك خرقٌ لنواميس الكون ولأسباب الكون في كلّ فترةٍ من الفترات حتّى يعلم الإنسان بأنّ الله ﷻ هو القاهر فوق عباده.

(الآية ١٩) - ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾:

اختلف الرّسول ﷺ مع المشركين حول قضيّةٍ عقائديّةٍ أساسيّةٍ متعلّقةٍ بالإيمان والكفر، بالإيمان والإشراك، بتعدّد الآلهة أو بعدم وجود آلهةٍ، عندما يختلف الإنسان مع الآخرين المناوئين له يطلب حكماً وبيّنةً للخلافات، والشّهود هم إحدى البيّنات، فتصوّروا أنّ الله ﷻ هو الشّاهد وهو الحكم وهو المنفّذ، هذا معنى قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ﴾، الله ﷻ يشهد على صدق أنّه لا إله إلّا هو.

هذا الإيمان العميق في قلب النّبيّ ﷺ أراد أن يرسله إلى النّاس وأن يبلّغهم إيّاه من خلال رسالته، رسالة الخير والرّحمة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ]، فهو مبعوثٌ للبشريّة جمعاء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، فما كان لرحمة السّماء أن تكون وسيلةً لشقاء النّاس.

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾: إذاً الإثبات على وجود الله ﷻ في آيات القرآن الكريم: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ [الشّعراء]، وفي آيات الله ﷻ

الكونيّة والعلميّة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾: كلّ من بلغه القرآن الكريم وقع ضمن دائرة الإنذار الّذي قاله النّبيّ ﷺ للبشريّة جمعاء: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾؛ لأنّ القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ، وهو حجّةٌ لرسول الله ﷺ على خلق الله ﷻ بوجود الله الخالق، فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الّتي تختلف عن كلّ معجزات الرّسل السّابقين، فمعجزاتهم معجزاتٌ حسيّةٌ، من رآها آمن بها، ومن لم يرها وسمع عنها يمكن أن يؤمن بها، ولولا تبليغ القرآن الكريم قد لا يؤمن بها، فلولا أنّ القرآن الكريم أخبرنا عن عصا موسى عليه السلام الّتي ضرب بها البحر فانفلق، وضرب بها الحجر فانفجر، وأخبرنا عن سفينة نوح عليه السلام، وأخبرنا عن ناقة صالح عليه السلام، وعن نيران إبراهيم عليه السلام، وعن إحياء عيسى عليه السلام للموتى وشفاء الأبرص والأكمه، لما عرفناها، نحن نؤمن من خلال كتاب الله ﷻ، فإذاً دائرة الإنذار هي لكلّ من بلغه القرآن الكريم في وقت النّزول وإلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾: هذا السّؤال من رسول الله ﷺ: هل تشهدون وتثبتون أنّه مع الله ﷻ آلهةٌ أخرى؟ أين هي هذه الآلهة؟ بماذا أمرَتْ وعن ماذا نهت؟ ماذا قالت؟ ماذا فعلت؟ انظر للمحاجّة العقليّة، عندما اختلف سيّدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر ومع قومه فيما يتعلّق بالأصنام وعبادتها وقد حطّمها كما أخبرنا ﷻ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ

﴿أَصْنَٰمَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء]، حاججهم، هذه آلهةٌ كيف سيشهدون بهذه الآلهة الّتي لا تنطق ولا تأمر ولا تنهى.

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: قل يا محمّد لكلّ من آمن بهذه الرّسالة: بأنّ الله جلّ وعلا هو إلهٌ واحدٌ، وهو خالق ومدبّر هذا الكون، وواضع الأسباب، وهو الّذي يحيي ويميت، وسيحاسب النّاس يوم القيامة على أعمالهم، ولو كان معه آلهةٌ أخرى كما يدّعون لفسدت السّماوات والأرض، ولو كان هناك آلهةٌ أخرى لأفصحت عن نفسها وقالت: إنّها موجودةٌ.

﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: هذا الخطاب مع المشركين والآن الخطاب أيضاً مع اليهود الموجودين في الجزيرة العربيّة وفي المدينة المنوّرة الّذين ناوؤوا سيّدنا محمّد ﷺ، ووقفوا مع المشركين وتحالفوا معهم في كلّ الغزوات وفي كلّ المواقع، ويُفترض أنّهم أصحاب رسالةٍ وأنّ التّوراة بشّرت بالنّبيّ ﷺ.

(الآية ٢٠) - ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الكتاب هو التّوراة.

﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾: أي يعرفون النّبيّ ﷺ، ويعرفون صدق بلاغه ﷺ ﴿كَمَا

﴿يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾، قال عبد الله بن سلام ﷺ: "والله إنّي لأعرف محمّداً، ومعرفتي لمحمّدٍ أشدّ من معرفتي لابني"، وذلك من جرّاء الأوصاف الّتي جاءت عن رسول الله ﷺ في التّوراة.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: الخسارة هي ضياعٌ لرأس المال، أمّا خسارة النّفس فهي لا تعوّض، فهم خسروا أنفسهم؛ لأنّهم قدّموا شهواتهم في هذه الحياة الدّنيا على النّعيم الدّائم والباقي في الآخرة.

هؤلاء خسروا أنفسهم من جرّاء كفرهم، ومن جرّاء صدّهم عن سبيل الله ﷻ؛ لأنّ الهداية جاءتهم، وهذه الهداية هي هداية دلالة: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: من الآية ٩]، يهدي النّاس جميعاً للّتي هي أقوم، فإذا أخذت بهداية الدّلالة وسرت بها فقد آمنت، وإن لم تأخذ يزيدك الله ﷻ بعداً.

﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: هم من جرّاء خسرانهم لأنفسهم لا يؤمنون، وليس لأنّ الله ﷻ كتب عليهم عدم الإيمان.

(الآية ٢١) - ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١﴾:

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: الظّلم ظلماتٌ، كما قال ﷺ في الحديث القدسيّ فيما يرويه عن ربّه ﷻ: «**يا عبادي إنّي حرمت الظّلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا**»[1]، وأشدّ أنواع الظّلم أن

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآدب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

يظلم الإنسان نفسه، بأن يقدّم لها شهوةً زائلةً ويحرمها من نعيمٍ مقيمٍ، وذلك عندما يرتكب الفاحشة، صحيحٌ أنّه يعتقد أنّه قد حصل على ما يريد، لكنّه بحصوله على هذا الأمر الزّائل والّذي ستزول معه الدّنيا أيضاً، سيجد الخسران يوم القيامة، إذاً هو ظلم نفسه؛ لذلك يقول المولى ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾، إنّه يفتري على الله ﷻ الكذب، ويحرّم ما حلّل الله ﷻ، ويحلّل ما حرّمه ﷻ، ويكذّب بآيات الله ﷻ وبصدق بلاغ رسول الله ﷺ، وبكلّ ما جاء في القرآن الكريم، وبكلّ الأوامر الّتي وردت ويشكّك بها.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: هذا أمرٌ إلهيٌّ لا يمكن للظّالم أن يفلح، الظّالم الّذي ظلم نفسه، والّذي يظلم غيره، قال النّبيّ ﷺ: «**ثلاثةٌ لا تردّ دعوتهم، الإمام العادل، والصّائم حين يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام وتفتح لها أبواب السّماء ويقول الرّبّ ﷻ: وعزّتي لأنصرنّك ولو بعد حين**»[1]، فاتّقوا دعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله تبارك وتعالى حجابٌ.

(الآية ٢٢) - ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾:

إذاً هناك يومٌ وهناك حشرٌ للجميع، عندما يقول ﷻ: ﴿جَمِيعًا﴾، أي للكلّ دون استثناء.

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب صفة الجنّة، باب صفة الجنّة ونعيمها، الحديث رقم (٢٥٢٦).

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾: طالما أنّكم أشركتم بالله فأين هم الشّركاء؟ فليقوموا وليدافعوا عنكم، أو يتحمّلوا عبء ما أشركتم به.

(الآية ٢٣) - ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾:

الفتنة هي الاختبار، والفتنة بحدّ ذاتها لا تكون شرّاً، لكن نتيجة الفتنة تكون إمّا شرّاً وإمّا خيراً، وقد يأتي معنى الفتنة بالسّير على رأي ضالّ.

فالفتنة هي اختبارٌ لها وسائلٌ متعدّدةٌ، وتطلق على الشّيء الّذي يستولي على الإنسان بالباطل، يقال: هذا يفتن أو يفتن بين النّاس.

﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾: كانت نتيجة الاختبار بأنّهم قالوا يوم القيامة: بأنّنا ما كنّا مشركين، هم كذّبوا، ويحاولون حتّى في هذه اللّحظات أن يقسموا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾، إذاً تبرّؤوا، ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة].

(الآية ٢٤) - ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾:

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ﴾: على أمرٍ لم يأت بعد، لكن الله ﷻ ليس لديه زمنٌ، فعندما يتحدّث عن أمرٍ أنّه سيحدث فإنّه حدث، يخرج من الزّمن، مثل قوله ﷻ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النّحل: من الآية ١]، كيف أتى وأنت تستعجله؟ الجواب: لأنّ الله ﷻ عندما يقول: ﴿كُن﴾، فيكون خارج الزّمن، والزّمن مخلوقٌ من مخلوقات الله ﷻ، فعندما يقول: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾: أي اعلم يا محمّد كيف كذبوا يوم القيامة، وكأنّه ينظر إلى ذلك. عندما قال للنّبيّ ﷺ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾ [الفجر]، ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١﴾ [الفيل]، هو لم يكن أيّام عادٍ ولا أيّام أصحاب الفيل؛ لأنّه كان في بطن أمّه في عام الفيل، (ألم تر)؛ لأنّ الرّؤية من الحواسّ، وهي أشدّ الحواسّ إثباتاً، أكثر من السّمع، رأيت أم سمعت؟ فعندما يقول المولى ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾؛ لأنّ ربّ الحواسّ الّذي خلقها هو أصدق منها، فإخبار الله ﷻ لك أصدق من عينيك، لذلك يقول ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾، ولو كان القائل غير الله ﷻ لقال: (ألم تسمع كيف فعل ربّك بعاد)، (ألم تسمع كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل).

إذاً إخبار الله ﷻ أصدق من رؤية عينيك، ومن هنا جاءت هذه الآية: ﴿ٱنظُرۡ﴾ أي وكأنّه ينظر.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: أي أنّ شركاءهم والّذين أشركوا فيهم حتّى الحجارة تقول: عبدونا، ونحن عبادٌ لله، فحتّى الحجارة تسبّحه وتعبده ﷻ، قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء].

(الآية ٢٥) - ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: الفرق بين يسمع ويستمع: قد تسمع وأنت لا تهتمّ ولا تقصد السّمع؛ لأنّ حاسّة السّمع بالنّسبة للإنسان هي أوّل أدوات الإدراك، هي آلةٌ موجودةٌ في جسم الإنسان لا تغيب، حتّى في حالة النّوم الإنسان يسمع لكنّه لا يرى، قال ﷻ عن أصحاب الكهف: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف]، حتّى ناموا تلك النّومة الطّويلة، فمنع الله تبارك وتعالى آليّة السّمع من العمل، صوت الهواء والرّياح ونباح الكلاب عند الكهف، كلّ هذا مُنع عنهم حتّى ناموا تلك الرّقدة الطّويلة.

إذاً السّمع آلة إدراكٍ لا تتعطّل في الإنسان عند النّوم، وعندما يستمع الإنسان أي هو يقصد أن يسمع وأن يفهم هذا الكلام، كما قال ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمّد]، إذاً يقصد الاستماع إليك ليسمع ما تقوله من آيات القرآن الكريم.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾: ما علاقة السّمع بالقلب؟ ذكرنا سابقاً أنّ القلب مركز جسم الإنسان، ويتّصل بالدّماغ وبأعضاء الجسم كافّة، وهو مركزٌ للإحساس والشّعور والعواطف، وهو يعقِل، فعندما أراد أولئك أن يستمعوا من أجل البحث عن أيّ أمرٍ يستطيعون من خلاله التّشويش على القرآن الكريم وإنكاره وذلك نتيجةً لكفرهم، فماذا فعل الله ﷻ؟ الجواب: قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، وكأنّ

القلب هو الّذي يفقه القرآن، وهذا ثبت علميّاً الآن، وهو المكان والوعاء لذلك قال ﷺ: «**ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب**»(١)، وهو الأساس، قال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[محمّد]، لم يقل: (على عقول) وهذا مصداقٌ لما جاء في هذه الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾، أي يستمع إليك بغرض، لذلك جعل الله ﷻ على قلوبهم أكنّةً أن يفقهوه.

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: وكأنّهم لم يسمعوه.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾: حتّى لو رأوا الآيات فلا يؤمنوا بها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: غلافٌ، صممٌ في الآذان، غطاءٌ على القلب، لذلك حتّى لو رأوا الآيات فلا عمق في فهم القرآن الكريم، ولا يمكن لأنوار كلام الله ﷻ أن تنفذ إلى قلوبهم من خلال تلك الأغلفة الّتي جعلها الله ﷻ، وجاؤوا يجادلون: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الأساطير: جمع أسطورة، والأسطورة شيءٌ يتحدّث عن العجائب والغرائب الّتي يعلمها الإنسان، وهم مسبقاً أضمروا بأنفسهم أنّه مهما قال النّبيّ ﷺ فهو ساحرٌ كذّابٌ، ووضعوا عليه افتراءاتٍ كثيرةٍ؛ لأنّهم لا يريدون الإيمان ولا التّكليف، ولا يريدون أن يناقشوا بالحجّة والبرهان، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، الحديث رقم (٥٢).

﴿تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصّلت]، والغوا فيه: أي شوّشوا، هناك دائماً من يريد في كلّ زمانٍ وفي كلّ عصرٍ أن يشوّش على القرآن، والقرآن الكريم أتى بالحقّ وبالدّلائل وبالحجج والبراهين.

(الآية ٢٦) - ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾:

﴿عَنۡهُ﴾: عن القرآن الكريم.

ارتكبوا جريمتين اثنتين: ينهون عن القرآن الكريم، وينأون عنه ليمنعوا من أن يستمع إليه أحدٌ خوفاً من أن تتسلّل أنوار القرآن الكريم إلى قلوب المستمعين له.

﴿وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: كلّ هذا الكلام والتّشويش واللّغو لا يفيد، وهم لا ﴿يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ يعتقدون بأنّهم ينالون من القرآن الكريم ويشكّكون فيه، ولكنّ القرآن الكريم باقٍ إلى قيام السّاعة.

(الآية ٢٧) - ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧﴾:

انتقل الله تبارك وتعالى إلى الصّورة المقابلة؛ لأنّها مهما طالت فهي قصيرةٌ، مهما طال عمر الإنسان فسيقف هذا الموقف، فبعد أن كانوا ينهون عن الاستماع للقرآن الكريم وينأون عنه ويشوّشون عليه ويمنعون كلّ ما يتعلّق به.

﴿فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يا ليت هي كلمةٌ يقولونها، كما قال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[المؤمنون].

(الآية ٢٨) - ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ﴾: من كفرهم وإشراكهم ومن صدّهم عن سبيل الله ﷻ بدا لهم: أي أصبح واضحاً؛ لأنّه تُنشر الأعمال في ذلك اليوم، ويقول ﷻ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ أي إلى الدّنيا مرّةً أخرى، ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: الكذب هو صفةٌ ملازمةٌ لهم.

(الآية ٢٩) - ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾:

هذا القول هو مشكلة كلّ الدّنيا وما زلنا حتّى الآن وفي كلّ لحظةٍ إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها سنناقش هذه القضيّة وهي قضيّة: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾، لماذا تقولون: حياتنا الدّنيا؟ طالما هي حياةٌ دنيا فهذا يعني أنّ هناك حياةً عُليا مقابلها.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾: ما هو الدّليل على أنّكم غير مبعوثين إلى يوم القيامة وإلى الحساب والعقاب؟ الدّليل بالنّسبة لنا الّذي نقوله هو الدّليل

على وجود الله ﷻ، فنحن نناقش بالقمّة، نناقش موضوع وجود الله ﷻ، فإذا ثبت علميّاً وعقليّاً وإيمانيّاً وجوده ﷻ، وصدق البلاغ عنه ﷻ من قِبل الرّسل عليهم السلام، فإذاً علينا أن نؤمن إيماناً مطلقاً بعد أن حاكمنا العقل والحجّة والبرهان وعرفنا بأنّ هذا الوجود له موجدٌ، وأنّه موجد الوجود، وأنّ الأثر يدلّ على المؤثّر، وأنّه لا يمكن أن يوجد هذا الكون بهذا الاتّساع وهذا النّظام من دون فاعلٍ ومن دون موجدٍ، ونؤمن بأنّ هذا الرّسول جاء وهو صادقٌ وأمينٌ وبلّغ القرآن الكريم وتحدّى البشريّة بصدق القرآن الكريم وببلاغته وعلومه وبما ورد فيه، وإلى هذه السّاعة ما استطاع أحدٌ أن يُنكر أيّ آيةٍ في القرآن الكريم، أو أن يقول: هذه الآية قد تصادمت مع العلم الحقيقيّ والعلم الثّابت التّجريبيّ، ولكن الّذي حدث أنّهم كما أخبر جلّ وعلا: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾: فهم يتمنّون ألّا يبعثوا ليرتكبوا كلّ الموبقات والشّهوات ويتفلّتوا من كلّ الضّوابط، وألّا يوجد يوم حسابٍ، والّذي هو الأساس بالنّسبة للإيمان، فإذا آمنت بالله ﷻ فيجب أن تؤمن بأنّ هناك يوماً آخر، وأنّ الله تبارك وتعالى ما خلقنا عبثاً، فهناك ظالمٌ وهناك مظلومٌ، هناك قاتلٌ وهناك مقتولٌ، هناك سارقٌ وهناك مسروقٌ، هناك فقيرٌ تحمّل وهناك غنيٌّ أسرف.. كلّ هذا كما أخبر ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء]، هذا هو اليوم الّذي يهربون منه.

(الآية ٣٠) - ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: يا محمّد.

﴿إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾: وقفوا في هذا الموقف.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾: هذا ما كنتم تنكرونه في الدّنيا بأنّنا لسنا بمبعوثين ولن نقف هذا الموقف، ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾.

عندما تحوّلوا إلى علم اليقين، ورأوا الجنّة جنّةً، والنّار ناراً، كان سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: "والله لو كُشف عنّي الحجاب ورأيت النّار ناراً ورأيت الجنّة جنّةً ما زاد ذلك في إيماني شيئاً"؛ لأنّه آمن بالله سبحانه وتعالى وآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم. أمّا مشكلة بأنّنا نتمنّى أو نقول أو ندّعي بأنّ هذه الحياة الدّنيا هي منتهى الأمور فهذا لا يصحّ حتّى عقليّاً، فمن الأجدر أن نؤمن بأنّ هناك يوم حسابٍ لتنضبط حركة الإنسان في الحياة، وحتّى لا يتفلّت من الضّوابط القيميّة والأخلاقيّة، وليعلمَ بأنّه في هذا اليوم ستُنشر أعماله وسيُحاسب على الكبير والصّغير والقليل القطمير ويتعرّض لرحمات الله سبحانه وتعالى ويتعرّض أيضاً لعذابه عزّ وجلّ نتيجة لما ارتكب من آثام.

(الآية ٣١) - ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾:

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ﴾: لماذا الخسارة؟ الإنسان يعمل فيزيد

رأس المال، فإذا نقص رأس المال نقص الرّبح فخسر العمل والرّبح معاً، والّذين كذّبوا بلقاء الله ﷻ كلّ عملهم ذهب هباءً منثوراً، كما قال ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[الفرقان].

﴿حَتَّىٰٓ﴾: جسرٌ ما بين شيئين، ما بين الدّنيا والآخرة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: لأنّ السّاعة ستأتي بغتةً، والسّاعة بالنّسبة لكلّ إنسانٍ قيامته، وساعته عند وفاته أقرب إليه من نفسه، وهو لا يعلم في أيّ لحظةٍ يأتي هذا الأجل فعندما يأتي الأجل فقد قامت قيامة الإنسان، وبالتّأكيد القيامة الكبرى عندما يقف النّاس لربّ العالمين، لكن الانتهاء من دور الحياة الدّنيا يكون في اللّحظات الّتي يموت فيها الإنسان في هذه الدّنيا لذلك قال الشّاعر:

نسير إلى الآجال في كلّ لحظةٍ ... وأعمارنا تُطوى وهنّ مراحل
ولم أر مثل الموت حقّاً كأنّما ... إذا ما تخطّته الأمانيُّ باطل
وما أصعب التّفريط في زمن الصّبا ... فكيف به والشّيب للرّأس شامل
ترحّل من الدّنيا بزادٍ من التّقى ... فعمرك أيّامٌ وهنّ قلائل

﴿قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾: يومئذٍ يتحسّرون، ولكن لا يفيدهم تحسّرهم.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: هذه الأوزار تتحوّل إلى أحمالٍ وأثقالٍ على ظهورهم.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: ما يحملون.

وهم لا يحملون أوزارهم فقط، بل وأوزار من كانوا قدوتهم في هذا العمل، ومن كانوا قدوتهم في البعد عن الله ﷻ وعن نهجه وعن سبيله وعن عطائه وعن رحمته.

(الآية ٣٢-) ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾:

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ﴾: الفرق ما بين اللّعب واللّهو: اللّهو يشغلك عن الواجب، أمّا اللّعب فلا يشغل عن الواجب، فمثلاً: لعبة كرة القدم هي لعبةٌ لكنّ النّاس وضعوا لها قوانين جادّة، أوّلاً يأتي النّاس قبل ساعتين ينضبطون في المدرّجات، وهناك حكمٌ يحكم بين الفريقين، وهناك ضربة جزاءٍ، إذاً وضعوا قانوناً جادّاً للعبة، واللّعب بشكلٍ عامٍّ يختلف عن اللّهو، فاللّعب لا يلهيك عن مسؤوليّةٍ أو عن عملٍ، أمّا اللّهو فلا يقدّم ولا يؤخّر، ولا يُغني عنك من الله شيئاً، ويشغلك عن مسؤوليّتك وعن عملك المكلّف به، فالحياة الدّنيا هي لعبٌ ولهوٌ، وكان ﷺ يقول: «**ما لي وما للدّنيا، ما أنا في الدّنيا إلّا كراكبٍ استظلّ تحت شجرةٍ ثمّ راح وتركها**»[1]، هذا الحديث النّبويّ يمثّل معنى هذه الآية تماماً، إذاً أنت تمرّ في دار ابتلاءٍ، وهي ليست دار قرارٍ، وإنّما هي دار مرورٍ، فإمّا أن تحصّل منها ما يفيد لآخرتك، وأن تبني قبرك وما بعد القبر، وإمّا أن تكون وبالاً عليك.

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: هنا يقول: أفلا تعقلون أي

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الزّهد، باب منه، الحديث رقم (٢٣٧٧).

فكّروا بعقولكم أيّها النّاس فمهما طالت هذه الحياة الدّنيا فستنتهي، إذا ولدت فأنت ستموت، كان سيّدنا الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه يقول: "مسكينٌ ابنُ آدَمَ، مَكتومُ الأجل، مَكنونُ العِلَل، محفوظ العمل، تؤلِمه البقَّة، وتقتله الشَّرْقَةُ، وَتُنتِنهُ العَرْقَة، عجبت كيف يفرح بالدّنيا مَن يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يفرح بالدّنيا مَن تقوده حياته إلى موته ويقوده عمره إلى أجله".

القضيّة تُدرك بتفكّرٍ وبتدبّرٍ وبعقلٍ، فنحن نرى بأنّ هذه الحياة الدّنيا زائلةٌ، وأنّها ستمرّ مرّ السّحاب، وأنّنا سنأتي إلى ذلك اليوم الّذي سنواجه فيه الموت، وسنواجه لقاء الله ﷻ، وسنواجه الحساب والعقاب.

(الآية ٣٣-) ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾:

هذه الآية تسليةٌ لقلب النّبيّ ﷺ.

﴿قَدْ﴾: هنا للتّحقيق، أي تحقيقٌ بعلم ما يحدث.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾: والنّبيّ ﷺ كان يحزن عندما يرى أنّه يدعو النّاس إلى الخير وهم يقابلونه بالشّرّ، فقالوا عنه: ساحرٌ، وقالوا: مجنونٌ، وقالوا: كذّابٌ، وقالوا: مفترٍ، وقالوا: أضغاث أحلامٍ، لم يتركوا صفةً من الصّفات المذمومة إلّا وقالوها، وهو ﷺ الصّادق الأمين، لذلك أراد الله تبارك وتعالى أن يرفع الحزن عن هذه النّفس العظيمة، نفس محمّدٍ ﷺ، فقال له: يا محمّد، ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾، وهذه تسليةٌ لقلب

النّبيّ ﷺ، فعندما ذهب ﷺ إلى الطّائف، أغروا به غلمانهم ليلقوا عليه الحجارة ويشتموه فما كان منه إلّا أن قال ﷺ: «**اللّهمّ إنّي أشكو إليك ضعف قوّتي وهواني على النّاس، أنت أرحم الرّاحمين، إلى من تكلني؟! إلى عدوٍّ يتجهّمني؟ أم إلى قريبٍ ملّكته أمري؟ إن لم تكن غضبان عليّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك أوسع لي**»[1].

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: بكلّ آيات القرآن الكريم وآيات الله ﷻ الّتي تتبدّى في الخلق، من الشّمس والقمر والنّجوم، ومن الأنهار والماء والبحار، ومن الهواء والسّحاب.. ومن كلّ ما خلقه ﷻ من النّبات والحيوان، كلّ هذا الخلق وهم يجحدون ويكفرون به، فإنهم لا يكذّبونك يا محمّد، وإنّما يكفرون بآيات الله ﷻ، وهذا تسليةٌ من الله ﷻ لرسوله الكريم، حتّى لا يحزن، ورغم حزن النّبيّ ﷺ إلّا أنّه كان بهم رحيماً، عن عروة أنّ عائشة ﵂ زوج النّبيّ ﷺ حدّثته أنّها قالت للنّبيّ ﷺ: هل أتى عليك يومٌ أشدّ من يوم أُحُد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثّعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إنّ الله قد**

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: كتاب المغازي والسّير، باب خروج النّبيّ ﷺ إلى الطّائف وعرضه نفسه على القبائل، الحديث رقم (٩٨٥١).

سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثمّ قال: يا محمّد، فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أُطبِق عليهم الأخشبين؟ فقال النّبيّ ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1]، وكان يقول ﷺ: «**إنّما أنا رحمةٌ مهداة**»[2]، وعندما كانوا يقولون له: ألا تدعو على قومك؟! يقول ﷺ: «**اللّهمّ اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون**»[3]، هذا كان جواب النّبيّ ﷺ.

(الآية ٣٤-) ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾:

هذه هي سنّة الخلق ما بين الحقّ والباطل، عبر الزّمن كُذّب الرّسل الّذين أُرسلوا لأقوامهم نوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام ولكنّهم صبروا، والصّبر هو سلاح المؤمن، بيّنه الله ﷻ لرسوله الكريم بقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة]، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة]، لم يقل: مع

---

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: كتاب المغازي والسّير، باب خروج النّبيّ ﷺ إلى الطّائف وعرضه نفسه على القبائل، الحديث رقم (٩٨٥١).

(٢) سنن الدّارمي: المقدّمة، باب كيف كان أوّل شأن النّبيّ ﷺ، الحديث رقم (١٥).

(٣) شعب الإيمان للبيهقيّ: ٢/١٦٤، الحديث رقم (١٤٤٧).

المصلّين؛ لأنّ الصّلاة قد تكون مجرّد ركعاتٍ وسجودٍ وحركاتٍ، أمّا التّعبير الحقيقيّ عن الصّلاة فهو أن تصبر على قضاء الله ﷻ، وتعتقد أنّ قضاءه جلّ وعلا فيه خيرٌ لك، وأنّ هذه المحنة ستنقلب إلى نعمةٍ، وأنّ كلّ محنةٍ في باطنها نِعَمٌ من الله ﷻ فتصبر على هذا الإيذاء.

وهذا سيّدنا إبراهيم عليه السلام وهو جدّ النّبيّ ﷺ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء]، ماذا كان الجواب بعد كلّ هذا الحوار والنّقاش الّذي تمّ ما بين سيّدنا إبراهيم الخليل وبين القوم الّذين عبدوا الأصنام والآلهة؟ الجواب: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنبياء]، لم يجدوا حجّةً فعمدوا للإلغاء بالقوّة، ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء]، فمتى جاء نصر الله ﷻ

لسيّدنا إبراهيم عليه السلام؟ لقد جُمع النّاس وأوقدت النّيران، ومن ثمّ أُلقي بالمنجنيق فاعترضه جبريل عليه السلام قبل سقوطه في النّيران فسأله: "هل لك من حاجةٍ يا إبراهيم؟" فقال: أمّا إليك فلا، وأمّا لربّي فعلمه بحالي يكفي عن سؤالي، وسقط في النّار فتحوّلت برداً وسلاماً.

لقد مرّت آياتٌ كثيرةٌ تتحدّث عن الأنبياء عليهم السلام وعن أقوامهم وإعراضهم وإيذائهم وسفاهتهم وحقدهم، وعن عدم وجود الحجّة والبرهان، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

(الآية ٣٥-) ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾:

الرّسول صلى الله عليه وسلم معصومٌ، وليس المقصود بهذه الآية مظنّة أنّه سيفعل ذلك، وأنه سيكون من الجاهلين، لا، فهي تنزيهٌ للرّسول صلى الله عليه وسلم من أن يكون في صفّ الجاهلين، حتّى لا يحمل الإنسان الآية على غير محملها، وكثيرٌ هم الّذين يتصدّون لآيات القرآن الكريم ويفسّرونها بأقوالهم كيفما شاؤوا، ويخرجون عن كلّ قواعد اللّغة العربيّة وقواعد التّفسير والدّين.

(الآية ٣٦-) ﴿*إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

﴿*إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: بالتّأكيد الّذي يسمع سيستجيب، ولو أنّ الآية: (إنّما يجيب الّذين يسمعون)، لتغيّر المعنى والمقصود، فلو

حدّثتك بأمرٍ فأنت تجيب بنعم أو لا أو أيّ شيءٍ آخر، لكنّ الكلمة هنا: ﴿*إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾، أي يطيع في الأوامر والنّواهي، وكلمة ﴿يَسْتَجِيبُ﴾ تختلف عن يُجيب: أي تنفّذ ما أمرت به.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: أي الّذين يسمعون كلام الله ﷻ ويعقلونه ويستجيبون؛ أي يطيعون أوامره ﷻ فيما أمر ونهى.

وأتى بمقابلها مباشرةً: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لأنّ الّذين لا يستجيبون ولا يسمعون هم كالموتى، حتّى الموتى سيعودون ويُسألون عن عدم استجابتهم لأوامر رسلهم صلوات الله عليهم وسلامه جميعاً.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: إيّاكم أن تعتقدوا أنّ الموتى ماتوا وأُسدل السّتار على حياتهم وانتهى الأمر، فالله ﷻ سيبعثهم ويسألهم عن الّذي لم يستجيبوا له من دعوة رسلهم وأنبيائهم عليهم السلام الّتي جاؤوا بها.

(الآية ٣٧-) ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾:

هذا القول هو قول كلّ الأقوام الّتي مرّ بها الرّسل والأنبياء عليهم السلام: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، والخطاب هنا للنّبيّ محمّد ﷺ، فهم يريدون معجزةً حسيّةً كالمعجزات الّتي جاء بها الأنبياء السّابقون، وهذه المعجزات هي معجزاتٌ مرحليّةٌ مشهديّةٌ، آمن بها من شهدها، وكانت لمرحلةٍ زمنيّةٍ انقضت وانتهت، موسى عليه السلام جاء بمعجزة العصا، فمن رآها آمن بأنّه استطاع أن يفلق البحر بالعصا، وأن يضرب الحجر بها وأن يخرج

منه الماء بالعصا ذاتها، وسيّدنا نوح عليه السلام كانت معجزته السّفينة، وسيّدنا صالح عليه السلام النّاقة، وسيّدنا عيسى عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وشفاء المرضى بإذن الله، وكلّ هذه المعجزات الّتي مرّت بالأنبياء والرّسل كانت معجزاتٍ مشهديّةً، هم يريدون من الرّسول ﷺ أن يأتي بمعجزةٍ كهذه المعجزات، وهذا فقط للتّضليل، وبما أنّ الرّسول الكريم ﷺ هو الرّسول الخاتم، فمعجزته بكلام الله ﷻ؛ لأنّها معجزةٌ باقيةٌ لن تنتهي حتّى يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، ومع ذلك هناك معجزاتٌ حسيّةٌ كثيرةٌ مشهديّةٌ حدثت لرسول الله ﷺ، منها معجزة الإسراء والمعراج، وتفجّر الماء من بين أصابعه الشّريفة، وتكثير الطّعام، وسجود الشّجر بين يديه ﷺ، كلّها كانت من المعجزات، ومع ذلك فإنّهم كما قال المولى ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾، هم يجهلون ولا يعلمون بأنّ الله ﷻ قادرٌ على إنزال المعجزات، ولكن ليس هناك معجزةٌ أعظم وأبلغ من معجزة القرآن الكريم.

(الآية ٣٨-) ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾:

كلّ الدّوابّ هداها الله ﷻ لرزقها بالغريزة، وإيمانها بالفطرة، قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء]، وهدى الله ﷻ الإنسان بالعقل، والعقل هو مناط التّكليف.

فما من دابّةٍ في الأرض، ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلّا أممٌ مسبّحةٌ لله جلّ وعلا وعابدةٌ له، لكن لا نفقه هذا التّسبيح.

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾: القرآن الكريم مكتنزٌ على كلّ ما يتعلّق بأحوال النّاس والدّنيا، ولا نقول: بأنّه كتاب كيمياء ولا فيزياء ولا طبٍّ ولا إعجازٍ علميٍّ، وإنّما هو كتاب هدايةٍ للعالمين.

بعض العلماء قالوا: المراد بالكتاب هنا: اللّوح المحفوظ، ومنهم من قال: بأنّه القرآن الكريم.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: ثمّ للتّراخي. بيّن ﷻ طريق الهداية، وبيّن طريق السّعير، وما يفيد الإنسان، وبيّن الحلال والحرام، والأوامر والنّواهي، وبعد ذلك جاءت النّتيجة: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

(الآية ٣٩-) ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: الّذين كذّبوا بكلّ ما جاء في القرآن الكريم من آياتٍ بيّناتٍ دالّاتٍ على وجود الله ﷻ، وعلى دعوة رسول الله ﷺ ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الصّمم: آفةٌ تصيب الأذن، والبكم: آفةٌ تصيب اللّسان، وعندما يقول المولى ﷻ: ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾، يقدّم الصّمّ على البكم؛ لأنّ اللّسان يتحدّث بما يسمع، واللّغة هي بنت مكانها، فإن وُلِد إنسانٌ عربيٌّ في بريطانيا فإنّه يسمع اللّغة الّتي يتحدّث بها النّاس فيتحدّث بها ذاتها، فاللّغة ليس لها جنسٌ أو دمٌ أو لونٌ، بل تحاكي المكان الّذي أنت فيه، وتأتي

من السّماع، لذلك دائماً يكون السّمع مقدّماً على الكلام، والطّفل عندما يولد فأوّل شيءٍ يسمع بأذنيه، ثمّ يتعلّم من والديه الكلام، فينطق بما يسمع، لذلك نجد أنّ النّبيّ ﷺ عندما جاءه جبريل عليه السلام في الغار أوّل نزول الوحي قال: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: من الآية ١]، فأجاب: «**ما أنا بقارئ**»، وأعاد عليه سيّدنا جبريل عليه السلام القولَ ثلاثاً ورسول الله ﷺ يقول: «**ما أنا بقارئ**»[1]؛ لأنّ النّبيّ ﷺ لم يسمع حتّى يقرأ، فحتّى تقرأ يجب أن يكون الكلام إمّا مكتوباً أمامك، وإمّا أن تسمعه، إذاً السّمع مقدّمٌ على اللّسان.

فهؤلاء الّذين كذبوا فيهم آفةٌ منعتهم من الاستماع، ومنعهم عدم استماعهم من التّكلّم بالحقّ، فهم: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾.

﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: نعود إلى المشيئة العامّة ونقول: إنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: من الآية ١٠٨]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٤]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٨]؛ لأنّهم ظلموا فلم يشأ الله سبحانه وتعالى أن يجعلهم على صراطٍ مستقيمٍ، ولو أنّ الإنسان لم يكفر ولم يظلم ولم يفسق ولم يكذب لكان طريق الهداية مفتوحاً أمامه، فلا يتعلّلنّ أحدٌ بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وإنّما بالخيار الّذي تركه الله سبحانه وتعالى من خلال العقل الّذي وضعه في الإنسان، ووضع له البدائل الّتي يختار منها ما يشاء.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدءُ الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث رقم (٣).

(الآية ٤٠-) ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾:

﴿قُلْ﴾: وجود هذه الكلمة دليلٌ على أمانة التّبليغ من النّبيّ ﷺ، يأتي جبريل عليه السلام ويقول: ﴿قُلْ﴾، فيقول ﷺ: ﴿قُلْ﴾، ولا يحذف كلمةً أو حرفاً من كتاب الله ﷻ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: يوجد في جملة أرأيتكم استفهام وفعل وضمير، التّاء المفتوحة للمخاطب، أي معناها أخبروني عن حالكم إن كنتم في ضيقٍ، أو أتاكم عذابٌ من الله ﷻ، أو أتتكم السّاعة بغتةً، فمَن تدعون؟ الإنسان عندما يفقد الأسباب فإنّه بشكلٍ طبيعيٍّ يلجأ إلى الله ﷻ، ويقول: يا ربّ، ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾أي أروني ماذا تفعلون.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: يضطرّ الإنسان في هذه اللّحظة أن يكون صادقاً؛ لأنّه يعلم بأنّه لا يضرّ وينفع إلّا الله ﷻ، فبهذه اللّحظات لا تلجأ إلى الأسباب، لا تدعو اللّات، لا تدعو العزّى، لا تدعو الأصنام، لا تدعو الشّمس، لا تدعو البحر، لا تدعو العقل، لا تدعو إلّا الله تبارك وتعالى.

(الآية ٤١-) ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾:

في هذه اللّحظات العصيبة ينسى الإنسان ما كان يدعوه مع الله جلّ

وعلا؛ لأنّه في لحظات صدقٍ، ينساهم كلّهم ولا يقول إلّا: يا ربّ، فهو يعلم بأنّه لا يستطيع أحدٌ فعل شيءٍ.

(الآية ٤٢-) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾:

كلّ الأمم أرسل الله ﷻ إليهم رسالات.

﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: الشّدائد.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الضّرر الّذي يصيب الإنسان.

(الآية ٤٣-) ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾:

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ لأنّ الشّيطان ليس له حجّةٌ على الإنسان، وإنّما عليه التّزيين فقط، ولكن الحجّة على الإنسان الّذي يتّبع الشّيطان.

(الآية ٤٤-) ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾:

﴿نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾: أي جاءهم أنبياء مذكّرين ومبشّرين بالجنّة ومنذرين من النّار، ويذكّرون النّاس بما نسوا من فطرة الإيمان من الرّسالات الّتي سبقت.

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: لماذا؟ لأنّ الإنسان كما يُقال بالمثل: لا يقع عن حصيرةٍ، لكن فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء فيغترّ الإنسان بالمال

والجاه والصّحّة. ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾، لم يقل: (فتحنا لهم)، بل (عليهم)، أي مفتوحٌ عليهم بالنّقم، وليس بالنّعم، ولكنّهم لم يروا هذا، بينما يقول للنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح]، لم يقل: (إنّا فتحنا عليك).

الله ﷻ يُذكِّر الخلق بالنّقمة وبالنّعمة، فقد يعطي النّعمة تحذيراً، وقد يعطي النّقمة أيضاً من أجل أن يرجع الإنسان إلى الطّريق.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: مبلسون أي يائسون، إذا فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء نسوا ما ذكّروا به وغرّتهم الحياة الدّنيا، وزيّن لهم الشّيطان الباطل، ففرحو بما أوتوا، فأخذهم الله ﷻ فجأة فإذا هم يائسون.

(الآية ٤٥-) ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٥﴾:

الدّابر: الآخر، والمعنى: فأهلك الله ﷻ أولئك الأقوام عن آخرهم بسبب ظلمهم وفجورهم، والحمد لله ربّ العالمين الّذي نصر رسله وأولياءه على أعدائهم.

(الآية ٤٦-) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ۝٤٦﴾:

الحواسّ تتلقّى المعطيات، ومن أهمّها ما يتعلّق بالهداية.

فإذا أخذ الله ﷻ فاعلية السّمع والبصر وجعل على القلوب الرّان فليس هناك من إلهٍ غير الله ﷻ يأتيكم بهذه الهداية.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: أي نبيّنها ونصرّفها من أسلوبٍ إلى آخر حتّى تبيّن للنّاس، ليكون الأمر واضحاً.

﴿ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾: يصدفون: أي يعدلون عن الإيمان بالله ﷻ، إذاً مطلوبٌ أن يكون الإيمان بالله ﷻ بعمل الجوارح، وهذه هي حقيقة الإيمان، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستّون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطّريق**»[1]، وهذا أمرٌ يجب أن ننتبه له.

(الآية ٤٧-) ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٧﴾:

﴿بَغۡتَةً﴾: أي يفاجئ القوم دون مقدّمات.

﴿أَوۡ جَهۡرَةً﴾: فإنّ عذاب الله ﷻ قد يكون بشكلٍ واضحٍ وليس عبر مقدّمات تأتي للإنسان.

﴿هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لماذا؟ لأنّهم ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم فأهلكهم الله ﷻ، فالإنسان يظلم نفسه عندما يقدّم لها شهوةً عاجلةً على نعيمٍ دائمٍ مقيمٍ.

(الآية ٤٨-) ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٤٨﴾:

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، الحديث رقم (٣٥).

وظيفة المرسلين هي أن يبشّروا وأن ينذروا، يبشّرون بالجنّة للّذي يأخذ بالطّريق المستقيم، وينذرون من النّار ومن عواقب الإجرام والحياد عن طريق الله ﷻ، فليست مهمّة الرّسل إدخال الهداية إلى قلوب النّاس، بل مهمّتهم الهداية إلى الطّريق الصّحيح كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشّورى: من الآية ٥٢]، بينما قال له ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القصص]، أي إنّك لن تستطيع أن تدخل الإيمان إلى قلوب النّاس، بل وظيفتك أن تُنذرهم من العذاب وتبشّرهم بالجنّة، والباقي يكون من عملهم ومن سلوكهم، فإن أخذوا بهداية الدّلالة جاءتهم هداية المعونة.

فالهداية هي هدايةٌ عامّةٌ وهي هداية الدّلالة، يدلّ الله ﷻ البشر كلّهم ويبيّن لهم الطّريق الصّحيح، وهدايةُ المعونة الّتي لا تأتي إلّا للّذي يختار هذا الطّريق.

﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: لا يكفي أن تقول: أنا آمنت، أنت مُطالَبٌ بوظيفة الإيمان، فما هي وظيفة الإيمان؟ قال ﷺ: «**ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره جائعٌ إلى جنبه وهو يعلم به**»[1]، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «**لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**»[2]، وقال ﷺ: «**دخلت امرأةٌ النّار في هرّةٍ ربطتها، فلم تطعمها،**

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب الألف، أنس بن مالك الأنصاريّ، الحديث رقم (٧٥١).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، الحديث رقم (١٣).

ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[1]، فعناصر الإيمان هي ألّا تكذب وألّا تنمّ وألّا تغتاب أو تسرق أو ترتشي أو تفعل المنكر والفحشاء... هذه وظائف الإيمان، فلا يكفي أن تقول: (من آمن) بل لابدّ من: (وأصلح)؛ لأنّ الإصلاح هو السّلوك، والسّلوك هو من عمل الجوارح وليس من عمل القلب، أنت تقول: الإيمان من عمل القلب، حسناً، أنت آمنت بالله ﷻ بالقلب، وقلت: أنا مؤمنٌ، فأين حقيقة إيمانك، هل أنت مصدر خيرٍ للغير؟ هل أنت مصدر خيرٍ لجيرانك؟ هل أنت مصدر خيرٍ لوطنك؟ هل أنت مصدر خيرٍ لأسرتك؟

إذاً: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ هؤلاء لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، والخوف: على شيءٍ يُتوَقّع، والحزن: يكون من شيءٍ وقع.

(الآية ٤٩-) ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾:

أي فسقوا وخرجوا عن طاعة الله ﷻ، والخروج عن طاعة الله ﷻ ألّا تأخذ بأوامره ﷻ، وأوامره ﷻ فيها خيرٌ لكلّ النّاس، يقول ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النّحل]، والإسلام هو طريق الصّلاح والإصلاح للنّفوس والقيم، والإنسان هو مادّةٌ طاغيةٌ، وروحٌ هاديةٌ، والمادّة الطّاغية دخلت فيها الرّوح الهادية، فالرّوح الهادية هي الّتي تتلقّى من القرآن وتتلقّى

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الخلق، باب خمسٌ من الدّوابّ فواسق يُقتلن في الحرم، الحديث رقم (٣١٤٠).

من النّبيّ ﷺ، وهي الّتي يمكن أن تكون صالحةً، لذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر]، فلا تقل لي كلاماً: بأنني مؤمنٌ، فالإيمان له تُرجمان، والتّرجمان هو العمل الصّالح.

(الآية ٥٠-) ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾:

لم يدّعِ النّبيّ ﷺ بأنّه يعلم الغيب، وأنّ عنده خزائن الله ﷻ، والخزائن: جمع خزانة، والخزانة: هي شيءٌ يُكنَز فيه المال أو غيره لوقت حاجته، وخزائن الله ﷻ: أي كلّ ما فيها من رزقٍ وعطاءٍ ورحماتٍ، ومن خير هذه الخزائن مفاتيحها عند الله ﷻ، ولا يملكها رسول الله ﷺ.

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾: النّبيّ ﷺ ليس عالِم غيبٍ، وإنّما هو مُعلَّم غيبٍ بما علّمه الله ﷻ، والغيب هو ما غاب عنك وليس له مقدّماتٌ يمكن أن تعرف من خلالها النّتائج، وليس هو ما غاب عنك ولكنّه مشهودٌ لغيرك، فمثلاً: إن أخبرت أنّها تمطر الآن في حلب وأنت في دمشق، فهذا غيبٌ بالنّسبة لك؛ لأنّك لا تعرف ما يحدث الآن في حلب، لكنّها بالنّسبة للقاطنين هناك معلومةٌ، فهذه لا تسمّى غيباً.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾: لم أتخلَّ عن طبيعتي البشريّة، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: من الآية ١١٠].

﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾: لم يدّعِ لنفسه بأنّه مَلَكٌ من ملائكة السّماء، وإنّما يتّبع ما يوحى إليه، لذلك قال الله ﷻ: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾ [النّجم]، أي جبريل عليه السلام.

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: ضرب الله ﷻ مثلاً حسّيّاً بمثلٍ، فما هو الفارق بين الأعمى والبصير؟ والجواب: هناك فارقٌ كبيرٌ، الأعمى لا يرى، والبصير يبصر، واكتشف ابن الهيثم، وهو عالِمٌ عربيٌّ بأنّ عمليّة الإبصار لا تكون بخروج شعاعٍ من العين إلى الجسم حتّى يراه الإنسان، وإنّما العكس في ذلك بدليل أنّه إذا أطفأت الأنوار فإنّ العين لا ترى، فإذاً هو شعاعٌ يخرج من الجسم إلى العين فتراه هذه العين، فالأعمى في ظلماتٍ كاملةٍ، والبصير يُبصر من النّور، وكذلك نور القيم وظلمات الجهل، فظلمات الجهل هي سوادٌ في فكر ونفس وعقل وقلب الإنسان، والبصير يبصر بهذه الأنوار الإيمانيّة، فهناك قيمٌ، إن لم يعرفها الإنسان فهو يتعسّر ويضطرب ويتخبّط كما يفعل الأعمى، والبصر هو وقايةٌ للإنسان لتفادي العقبات، وكذلك القرآن الكريم هو وقايةٌ للإنسان لتفادي العقبات، فإذاً لا يستوي الأعمى والبصير تحت أيّ ظرفٍ من الظّروف.

(الآية ٥١-) ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾:

﴿وَأَنذِرۡ بِهِ﴾: أي أنذر بالقرآن، وهنا يجب أن نتوقّف عند كلمة أنذر به، فالنّبيّ ﷺ لم يُنذر بالسّيف، ولم ينذر بالقتل، ولم ينذر بالإكراه؛ لأنّ

الدّين هو دين اختيارٍ لا إكراهٍ، يقول ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٦]، ويقول جلّ وعلا: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩]، الله ﷻ ترك لنا الخيار، ولو أراد قوالباً لأتى بالقوالب طائعين خاضعين، لكنّه أراد القلوب ولم يرد القوالب، قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس]، فالإيمان لا يكون بالإجبار على الإطلاق، والإنذار يكون بالقرآن الكريم، بالحوار، والمناقشة الموجودة فيه، وبالدّلائل والآيات والبيّنات الّتي وردت في القرآن الكريم.

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾: هؤلاء يخافون أن يحشروا يوم القيامة ليس لهم وليٌّ ولا شفيعٌ إلّا الله ﷻ، فبذلك هم يتّقون، والتّقوى: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتّنزيل، والرّضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرّحيل.

(الآية ٥٢-) ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢﴾:

كان بعض الفقراء يأتون إلى رسول الله عليه الصّلاة والسّلام ويتعلّمون الدّين، والنّبيّ ﷺ يحاول أن يجهد نفسه بدعوة عتاة المشركين حرصاً على إيمانهم، وليس ازدراءً بهؤلاء الفقراء، وليس المقصود هنا أن يعتقد أحدٌ أنّه عتابٌ لرسول الله ﷺ، وإنّما هو إشفاقٌ عليه ﷺ بأنّ هؤلاء لن

يؤمنوا مهما فعلت معهم، فكان النّبيّ ﷺ لا يُعرض عن الفقير لأنّه فقيرٌ، ولكن كان حريصاً على أن يهدي هؤلاء العُتاة الّذين كانوا يؤذون الفقراء والمساكين وغير ذلك.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾: فنحن لا نُحاسب النّاس على دينهم، وإنّما الحساب على الله ﷻ، وهي دعوةٌ لكلّ النّاس وليست لرسول الله ﷺ فقط.

(الآية ٥٣-) ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾:

هناك فريقان: الفريق الأوّل هم الّذين كفروا بالإسلام وعادوا رسول الله ﷺ، والفريق الثّاني هم الّذين آمنوا واضطهدوا، ووقفوا أمام زعماء قريش في ذلك الوقت، والله ﷻ يبيّن أنّ كلّ ما مرّ من المعارك الّتي جرت بين الحقّ والباطل، إنّما هي فتنةٌ، والفتنة: هي اختبارٌ.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: أي هناك قسمٌ آمن وقسمٌ لم يؤمن.

﴿لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾: هم يستضعفون هؤلاء المساكين والفقراء الّذين آمنوا بالنّبيّ ﷺ فقالوا: أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا؟ فيجيب المولى ﷻ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، إذاً الله ﷻ يعلم من هو الشّاكر، والشّاكر هو الّذي يصبر على البلاء، ويشكر في النّعماء، الشّاكر هو المؤمن الحقيقيّ الّذي إذا أصابته مصيبةٌ قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وأرجع الأمر لله ﷻ.

(الآية ٥٤-) ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾:

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾: أي عليكم الأمن والأمان والاطمئنان في يوم البعث يا من آمنتم بآياتنا، أي بآيات القرآن الكريم، وبكلّ الآيات الكونيّة الدّالّة على وجود الله ﷻ.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾: الله ﷻ ليس كمثله شيء، النّفس هي عبارةٌ عن روحٍ وجسدٍ بالنسبة للإنسان ولا نطبّق معنى كلمة نفسٍ على الله ﷻ، فلا يوجد نفسٌ لله ﷻ أو أبعاضٌ، وأنت تكتب على نفسك وثيقةً أو عقداً أو عهداً، وتوقّع هذه الوثيقة، ويكون عليها شهودٌ، والله ﷻ لا يوجد شهيدٌ عليه، ولا يوجد من يجبره على شهادة، ولكنّ الله جلّ وعلا يقول: بأنه جعل هذه الرّحمة وفتح باب المغفرة لمن عمل السّوء بجهالةٍ، فعندما كتب على نفسه: أي فرض لكم ووسّع لكم من رحمته أنّه من عمل منكم سوءاً بجهالة: قد يكون الإنسان قد فعل السّوء بضعفٍ من النّفس، وليس بإصرارٍ على ارتكاب هذا الذّنب، هذا هو معنى الجاهل، فالجاهل غير الجهالة، الجاهل هو الّذي لا يعلم، أمّا الجهالة فتكون لمن يعلم ويصرّ على ارتكاب المعصية.

والتّوبة هي عملٌ في القلب، ولكن الإصلاح هو عمل الجوارح، فلا يكفي أن تتوب، بل لا بدّ أن تصلح ما أفسدت، فإذاً تشريع التّوبة في

الإسلام هو عملٌ إصلاحيٌّ عظيمٌ لمصلحة الفرد والمجتمع، لذلك نجد أنّ النّبيّ ﷺ كان يحضّ النّاس على التّوبة والاستغفار في كلّ أمرٍ من أمورهم، وأن يعودوا إلى رشدهم، قال ﷺ: «**كلّ بني آدم خطّاء، وخير الخطّائين التّوّابون**»[1] فلا ينكر الإسلام على النّاس الأخطاء ولا ارتكاب السّيّئات، ولكن ينكر عليهم الإصرار على الأخطاء وعلى ارتكاب السّيّئات، وهنا فتح الله ﷻ باب الرّحمة، وممّا روته السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: جاء حبيب ابن الحارث إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّي رجل مِقرافٌ، قال: «**فتُب إلى الله يا حبيب**»، قال: يا رسول الله، إنّي أتوب ثمّ أعود، قال: «**فكلّما أذنبت فتب**»، قال: يا رسول الله، إذنْ تكثرْ ذنوبي، قال: «**عفو الله أكبر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث**»[2]، هذه هي الرّحمات، وعندما يقول المولى ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: من الآية ٨٢]، أي شفاءٌ من الدّاء الجسديّ والدّاء الاجتماعيّ، وهو داء القيم فالقرآن الكريم هو الشّفاء، وهو رحمةٌ يمنع أن يقع عليك الدّاء إذا أخذت بأوامر الله ﷻ، وهذا معنى هذه الآية.

(الآية ٥٥-) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ٥٥﴾:

المولى ﷻ يفصّل أموراً كثيرة، فيفصّل لنا في العقائد، وحركة الحياة

---

(١) المستدرك على الصّحيحين: ج ٤، ص ٢٧٢، الحديث رقم (٧٦١٧).

(٢) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: ج ١٠، الحديث رقم (١٧٥٣١)، ومِقراف: صيغة مبالغة من قارف: يُقال: قارف الخطيئة: أي خالطها.

والعبادة الّتي يؤدّي فيها الإنسان تكاليف الإيمان.

﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: هنا كلمة: ﴿سَبِيلُ﴾ تقرأ على وجهين: فإمّا أن تُقرأ مضمومةً، أو أن تُقرأ مفتوحةً، فهي مضمومةٌ بلغة الحجاز، ومفتوحةٌ بلغة تميم، والقراءات في كتاب الله ﷻ تعطي معانيَ لم ولن تستطيعَ أيّ لغةٍ على وجه الأرض أن تستوعبها بمجرّد تغيير حركة الإعراب، فالمعنى بالفتح: أي كذلك نفصّل الآيات ولتستبين يا محمّد، أي يتبيّن لك يا محمّد الطّريق الّذي يسلكه المجرمون، أمّا لو أنّها جاءت بالضّمّ فيُصبح المعنى: ولتستبينَ سبيلُ المجرمين، أي يتوضّح لكم طريق المجرمين، فالمعنى يختلف بمجرّد تغيير الحركة الإعرابيّة.

وعندما تعرف سبيل المجرمين، فحتماً سيتبيّن لك سبيل المؤمنين بالمقابل.

وبما أنّ القرآن الكريم له قراءاتٌ متعدّدةٌ، وجاء بلغةٍ أكرمها الله ﷻ وشرّفها بنزول القرآن الكريم بها، وفيها من الأمور ما لم تستطع أيّ لغةٍ أخرى أن تستوعبها، فالكلمة الواحدة قد تحمل معانيَ متعدّدةً، فإذا قلت مثلاً: (عينٌ) فقد تعني العين الّتي نرى بها، وقد تعني عين الماء، وقد تعني الجاسوس، وغيرها من المعاني الأخرى، لذلك لا بدّ من تدبّر القرآن الكريم وتفسيره، ولكن ضمن ضوابطَ، هذه الضّوابط الّتي يريد المتفلّتون أن يتفلّتوا من قيودها، وهي أحاديث النّبيّ ﷺ وأوامره ونواهيه وكلّ ما قام به ﷺ، فأفعاله وأقواله ﷺ كلّها تفسيرٌ عمليٌّ للقرآن الكريم، يقول بعض النّاس:

نحن نحتاج إلى تفسيرٍ جديدٍ، نقول لهم: نحن لا نحتاج إلى تفسيرٍ جديدٍ، بل نحتاج إلى تفسيرٍ عصريٍّ، نحتاج إلى فهمٍ أعمق، يتناسب مع عمق القرآن الكريم؛ لأنّه كلّما تطوّر العقل البشريّ كلّما استطاع أن يستمدّ من كتاب الله ﷻ.

(الآية ٥٦-) ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ﴾: أي الأصنام الّتي كانوا يعبدونها.

والنّبيّ ﷺ لم يعبد صنماً أو حجراً أو وثناً أبداً حتّى قبل الرّسالة، وهذا هو الإيمان بالفطرة الّتي كانت عند النّبيّ ﷺ، فأصبح عادةً، فأراد الله جلّ وعلا أن تنتقل العادة إلى العبادة.

﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: المجرمون والمشركون يتّبعون الهوى، وعندما يبلّغ النّبيّ ﷺ النّاس ويقول لهم: ﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ أي أنّ الّذي يتّبع أهواءكم سيضلّ ولن يكون من المهتدين؛ لأنّ الهوى هو خواطر النّفس الّتي تحقّق الشّهوة، فالّذي يتّبع هواه ينحرف عن الحقّ، ولا يكون من المهتدين.

(الآية ٥٧-) ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾:

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: البيّنة هي المنهج: افعل ولا تفعل، هذا

حلالٌ وهذا حرامٌ، هذا يصحّ وهذا لا يصحّ، الّذي لا يريد المنهج هو الّذي لا يريد القيود، يريد أن يتفلّت من القيود.

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾: وأنتم كّذبتم بهذا المنهج، وعندما كذّبتم بهذا المنهج قلتم: هو ليس من عند الله ﷻ، وقلتم: لن نطبّق هذا المنهج الّذي جئت به يا محمّد، وتقولون: لو كان صحيحاً ما عند ربّك من عذابٍ فليأتنا بالعذاب، إذاً كانوا يستعجلون بالعذاب، لذلك قال ﷻ:

﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾: انظر إلى صدق النّبيّ ﷺ، يقول لهم: لا أستطيع أن آتيكم بالعذاب عندما أريد، لماذا؟ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فالّذي يحكم في هذا الأمر هو الله ﷻ، قال جلّ وعلا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية]، هم تمادوا في الكفر، الاستعجال مأخوذٌ من العجلة وهي السّرعة إلى الغاية في طلب الحدث قبل زمنه، فالنّبيّ ﷺ يقول لهم: هناك عذابٌ في الآخرة لمن يكفر بالله ﷻ، فيقولون: ائتنا بالعذاب الآن، فيجيبهم النّبيّ ﷺ: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾، وهو الّذي يفصل بين النّاس يوم القيامة، ويفصل بين الحقّ والباطل.

(الآية ٥٨-) ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾:

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ﴾: هذا بلاغٌ

من رسول الله ﷺ لكلّ الخلق بأنّ أحداث الكون إنّما يجريها الحقّ ﷻ على الخلق بإرادته وبمواقيت لا يعلمها إلّا هو، وهنا يتبيّن صدق رسول الله ﷺ، فهو لم يدّعِ لنفسه بأنّ بيده هذه الأمور، وأنّه يفصل بالحقّ، ويعذّب النّاس، وأنّ عنده علم الغيب.. كلّ هذه الأمور إنّما هي لله ﷻ، وحكمة الله ﷻ في تأجيل العذاب إلى وقتٍ يحدّده جلّ وعلا لعدّة أسبابٍ: أوّلاً حتّى تكون أبواب التّوبة مفتوحةً، ثانياً هذا يجعل بعض المشركين يجترئون على الله ﷻ وعلى المؤمنين ويوغلون في الكفر ويقولون: ما الّذي منع العذاب عنّا؟! إذاً لا يوجد عذابٌ، وهذا تحدّي من الكفّار لرسول الله ﷺ، وهذا التّحدّي هو الّذي يعطي الإيمان رونقه، فكلّما ازدادوا في التّحدّي ازداد الإيمان صلابةً في قلب رسولنا ﷺ وفي قلوب المؤمنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هناك الحقّ والباطل، واللّيل والنّهار، والخير والشّر، هذه المقابلات هي الّتي تعزّز القيم الإيمانيّة، ولو أراد الله ﷻ لآمن الخلق كلّهم، فهي معركة الحقّ عبر الزّمان وعبر التّاريخ وعبر موكب الرّسالات السّماويّة.

(الآية ٥٩-) ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾:

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾: نتوقّف هنا عند كلمة ﴿مَفَاتِحُ﴾ انظروا إلى دقّة القرآن الكريم وعظمته، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ

﴿ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النّساء: من الآية ٨٢]، فلو أنّ إنساناً كتب القرآن الكريم لا يخطر بباله على الإطلاق أن يقول: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ﴾، بل يقول: (وعنده مفاتيح الغيب)، لكنّ الله ﷻ لم يقل: (مفاتيح) لماذا؟ لأنّه كلام إلهٍ، فالله جلّ وعلا يقول بكلمةٍ واحدةٍ معانٍ متعدّدةٍ لا تخطر على بال البشر، فما هو الفارق بين مفاتح ومفاتيح؟ والجواب: مفاتح هي جمع لمِفتَح أو مَفتح، المِفتح: آلة الفتح، مثل مِبرد على وزن مِفعل، أي هي المفتاح، أمّا مَفتح: وهو الشّيء الّذي تفتحه، فالخزنة اسمها مَفتح، والمِفتح هو المِفتاح، أي أنّ الله ﷻ يملك المفاتيح والخزائن، أتى بالمعنيين بكلمةٍ واحدةٍ عندما قال: ﴿مَفَاتِحُ﴾، أي يملك المفاتيح ويملك الخزائن أيضاً، وليس المفاتيح فقط.

الله ﷻ عنده مفاتح الغيب، فما هو الغيب؟ والجواب: الغيب هو ما غاب عنك ولا يعلمه غيرك، هذا تعريف الغيب، والخزائن: هي الّتي يوضع فيها الشّيء المخزون حتّى تخرجه في أوانه، كأن تضع فيها نقوداً ليأتي وقتٌ من الأوقات تأخذها منها، هذا معنى المخزون، والغيب له ثلاثة أنواع:

١- إمّا أمرٌ غاب عنك وهو معلومٌ لغيرك، وهذا لا يسمّى غيباً مطلقاً، مثالٌ: أحدهم سرق محفظة مالٍ، هو يعلم أين المحفظة، أمّا أنا فلا أعلم، فبالنّسبة لي هذا غيبٌ.

٢- وأيضاً هناك غيبٌ له مقدّماتٌ تأتي بالنّتائج، فالاكتشافات العلميّة تأخذ مقدّماتٍ تصل لنتائج كانت غيباً، فمثلاً: الجاذبيّة موجودةٌ لكن كانت غيباً قبل اكتشافها، لكن ليس غيباً مطلقاً، بل غيبٌ له

مقدّماتٌ، فقد شاهد نيوتن الورقة تسقط، ومن المقدّمات وصل إلى النّتائج، فوضع النّظريّة.

٣- الغيب المطلق والّذي لا يعلمه إلّا الله ﷻ، وهو الّذي ليس له مقدّماتٌ، ولا يعلمه أحدٌ غيرك، هذا هو الغيب الّذي يتحدّث عنه المولى تبارك وتعالى، فيقول ﷻ: ﴿* وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾، فخزائن الأمور الغيبيّة ومفاتيحها بيد الله ﷻ.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: لماذا قدّم البرّ على البحر؟ الجواب: لأنّه قد يوجد بلادٌ ليس فيها بحرٌ، أو لا تطلّ على البحار، وعالم البحار أخفى من عالم البرّ، أمّا البرّ ففيه جماداتٌ ونباتاتٌ وأشجارٌ وحيواناتٌ وبشرٌ وبلادٌ وطرقٌ.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾: يجب أن نقف هنا عند هذا التّعبير القرآنيّ العظيم، فالله ﷻ يعلم كلّ شيءٍ حتّى تساقط أوراق الشّجر، فبعد أن تؤدّي ورقة الشّجر مهمّتها من التّمثيل الكلورفيليّ، وتغذية الشّجرة، وإنضاج الثّمار، تسقط على الأرض بفعل الجاذبيّة الأرضيّة، الله ﷻ محيطٌ بالأجواء الّتي تحيط بها، وبهبوطها، وبحركة الرّيح الّتي تحرّكها إحاطةً علميّةً، ولا يمكن لأيّ قوّةٍ أن تحيط علماً بكلّ ورقةٍ تسقط وفق كلّ هذه المعطيات إلّا الله ﷻ.

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾: الحبّة الّتي تُزرع تحت الأرض، وتختفي في ظلمات الأرض، يعلم الله ﷻ أحوالها، وكيف تنبت، وما يجري عليها،

وهذا لا يعلمه إلّا الله ﷻ.

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: الرّطب من النّبات هو ما فيه ماء، أمّا اليابس فهو الّذي ليس فيه ماءٌ، والله ﷻ عنده مفاتح الغيب، ويعلم كلّ حركةٍ، لا تشتبه عليه الأصوات، يعلم كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ تجري في هذا الكون في الوقت ذاته واللّحظة ذاتها.

(الآية ٦٠-) ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾: لماذا سمّى المولى ﷻ النّوم وفاة؟ وهل قانون النّوم هو ذاته قانون الوفاة؟ وما هي العلاقة بين النّوم والوفاة؟ الجواب: أوّلاً لنفهم ما هو النّوم، النّوم ليس عمليّةً اختياريّةً من الإنسان، بدليل أنّ الله ﷻ إذا سلّط هموماً على بعض النّاس فإنّهم لا يستطيعون النّوم، إذاً النّوم عمليّةٌ قصريّةٌ خلقها الله ﷻ في الإنسان لتردعه عن الحركة، أمّا الوفاة فهي خروج الرّوح من الجسد، وكأنّ الله ﷻ يقول لنا: إيّاكم أن تظنّوا أنّ وجود الرّوح في الجسد هو الّذي يعطي للإنسان الحياة والحركة والتّصرّف، إنّي سأحتفظ بالرّوح في الجسد، ولن يستطيعَ الجسدُ التّصرّف الاختياريّ، فعند النّوم لا تستطيع أن تتصرّف اختياريّاً، فلا تحرّك يدك ولا قدمك ولا تقوم بأيّ فعلٍ باختيارك، إذاً النّوم نعمةٌ من الله ﷻ، ولذلك إن أردت أن تنام فذلك ليس بمقدورك، ولكنّه بمقدور الحقّ ﷻ، يقول العلماء: النّوم ضيفٌ

إذا طلبته أتعبك، وإن طلبك أراحك، النّوم آيةٌ كاملةٌ بمفردها، ولا يأتي النّوم فقط باللّيل، وإنّما قد يكون بالنّهار؛ لأنّ هناك أناساً يعملون في اللّيل، وفي النّوم نرى أحلاماً وألواناً، ولكن بماذا نرى الألوان والأحلام؟ العين مغلقةٌ فكيف نرى؟ هناك قانونٌ للنّوم يختلف عن قانون اليقظة، عندما نقوم بفعلٍ أو بحركةٍ نحتاج إلى زمنٍ، بينما أثناء النّوم نسافر إلى أقصى الأرض ونعود، ونقوم بعمليّاتٍ كثيرة ولا نستغرق أكثر من سبع ثوانٍ فقط، فنحن نخرج من قانون الزّمان أيضاً، وهذا يدلّنا أنّ الله ﷻ يريد أن يبيّن لنا بأنّ للنّوم قانوناً، وهو يقرّب إلينا الأمر، فقد ترك الرّوح في الجسد، وعطّل الحركات الاختياريّة الّتي نفعلها حال اليقظة، كتحريك اليد، فهذه حركةٌ اختياريّةٌ وليست حركةٌ اضطراريّةٌ، بينما دقات القلب حركةٌ اضطراريّةٌ لا نستطيع أن نتحكّم بها، إذاً سمّى الحقّ ﷻ النّومَ وفاةً، وسمّى الاستيقاظ بعثاً؛ لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**والله لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، وإنها الجنّة أبداً أو النّار أبداً**»(١).

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾: الجارحة هي الّتي تعمل؛ لذلك قال ﷻ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ بالجوارح من عملٍ.

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: هناك أجلٌ مكتوبٌ مسمّى ومعلومٌ عند الله ﷻ.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: حياةٌ وموتٌ وأجلٌ

(١) الرّحيق المختوم: المرحلة الثّانية: الدّعوة جهراً، المجلّد الأوّل، ص ٥٩.

مكتوبٌ، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النّحل]، لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون، ولا يستطيعون أن يتأبّوا على مَلَك الموت إذا قُضي أجلهم، لذلك كان سيّدنا عمر بن عبد العزيز يقول: "يا ساكن القبر غداً، ما غرّك من الدّنيا، هل تعلم أنّك تبقى أو تبقى لك؟! جاء الأمر من السّماء، جاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر الأجل ما يمتنع منه، هيهات يا مغمض الوالد والولد والأخ ومكفّنه، يا مغسّل الميت ومخلّيه، يا تاركه وذاهباً عنه ماذا تقول لملك الموت؟".

وممّا قيل عن الاستعداد للموت:

ولدتكَ أمّكَ يا ابنَ آدمَ باكياً والنّاسُ حولك يضحكونَ سروراً
فاعملْ لنفسِكَ أن تكونَ إذا بَكَوا في يومِ موتكَ ضاحكاً مسروراً

ولا يكون الإنسان ضاحكاً مسروراً في يوم موته إلّا إذا قدّم من العمل ما ينفعه، وهذا هو المقصود بقوله ﷻ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: أي تعودون إلى الله ﷻ، لذلك نجد أنّ الله ﷻ عندما قال: ﴿*مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[طه]، فقد بيّن أنّ الإنسان بين قوسين: من الله وإلى الله، فالله ﷻ خلقنا، وسيبعثنا يوم القيامة، ثمّ يحاسبنا وينبّئنا بما كنّا نعمل.

(الآية ٦١-) ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾:

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾: أي المتحكّم بقدرةٍ فائقةٍ.

﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾: الفوقيّة ليست الفوقيّة المكانيّة، وإنّما هي فوقيّة قدرة وفوقيّة علوّ، والحمد لله أنّه القاهر فوق عباده، فعندما يقهر إنسانٌ إنساناً فهناك إلهٌ قاهرٌ فوق عباده يُلجأ إليه، وما دام هو قاهر ﷻ فكلّ ما سواه مقهورٌ له، كيف؟ الجواب: الله ﷻ أوجد الوجود وقهره، فقهر الغنى فأفقر، وقهر الفقر فأغنى، وقهر الصّحّة فأمرض، وقهر المرض فشفى.. كلّ شيءٍ في الوجود مقهورٌ لله ﷻ، حتّى الرّوح هي مقهورةٌ تُفارق الجسد فيموت الإنسان.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: وكأنّ الموت هو الّذي يجيء، لذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾[الجمعة: من الآية ٨]، أنتم تفرّون منه إلى الأمام، وهو ملاقيكم من الأمام، أبهم الله ﷻ زمان ومكان الموت بالنّسبة للإنسان، وقد قيل:

هَبْ أنّك قد ملكت الأرض طُرّاً ودانَ لك البلاد فكان ماذا؟!
أليس غداً مصيرك جوف قبرٍ ويحثو التّرب هذا ثمّ هذا؟!

هذه الحقيقة الّتي لا يستطيع أحدٌ أن يتأبّى عليها، ولا يستطيع أحدٌ أن يقول لملك الموت: أخّرني إلى أجلٍ قريبٍ فأصدّق، قال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ

﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [المؤمنون]، فالموت سهمٌ أُرسل في لحظة ولادتك، وعمرك بقدر وصول السّهم إليك، لكنّ الله ﷻ أبهم زمان الموت ومكانه وسببه، وهذا الإبهام هو أشدّ أنواع البيان، حتّى تنتظر الموت في كلّ لحظةٍ فتعمل وتحصّن نفسك في عملك من أجل الآخرة.

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: لا يهملون ولا يقصّرون، وهم الملائكة المكلّفة بأمر الموت.

(الآية ٦٢-) ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝٦٢﴾:

﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: أي إنّهم كانوا من الله ﷻ إيجاداً ثمّ ردّوا إليه حساباً، ثواباً أو عقاباً.

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: يحسب لكلّ إنسان، ويحاسب كلّ إنسان على عمله، نجد أنّ النّبيّ ﷺ يقول: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقةٌ جاريةٌ، وعلمٌ يُنتفع به، وولدٌ صالحٌ يدعو له**»[1]، وكأنّ العمل يبقى كظاهر نصّ الحديث، والله ﷻ يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم]، والإنسان يُحاسب كما قال ﷻ عن نفسه: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾، فهل يُحاسب النّاس على أعمالهم؟ وعندما يموت الإنسان لا ينقطع عمله ويبقى العمل؟ هكذا يقول النّبيّ ﷺ، فهل هناك تعارضٌ بين

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الأحكام، باب في الوقف، الحديث رقم (١٣٧٦).

النّصّ القرآنيّ ونصّ الحديث النّبويّ؟ والجواب: الّذي لا يعرف أصول التّفسير، ولا علوم الحديث النّبويّ الشّريف، ولا علوم اللّغة العربيّة لا يمكن له أن يتصدّى لتفسير كتاب الله ﷻ، ولا أن يعرف فقه التّفسير والدّلالات الّتي تأتي، صحيحٌ أنّ الله ﷻ قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النّجم]، لكنّ النّبيّ ﷺ لم يخالف النّصّ القرآنيّ؛ لأنّنا إذا قرأنا الحديث: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقةٌ جاريةٌ، وعلمٌ يُنتَفع به، وولدٌ صالحٌ يدعو له**»، الصّدقة الجارية هي من عمل الإنسان قبل أن يموت، والعلم الّذي يُنتفع به أليس هو العلم الّذي اكتسبه في حياته؟ والولد الصّالح أليس من تربيته؟ فإذاً هو من عمله، كما قال ﷻ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النّجم]، إذاً لا يوجد تعارضٌ ما بين الحديث النّبويّ وما بين صريح القرآن الكريم.

(الآية ٦٣-) ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾:

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾: ذكرت سابقاً بأنّ الإنسان عندما يفقد الأسباب، ويقع في ضيقٍ، فإنّه يلجأ بشكلٍ فطريٍّ وليس بشكلٍ عقائديٍّ دينيٍّ إلى كلمة يا ربّ، هذه الفطرة مركوزة في الإنسان، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف]، فالإيمان مركوزٌ في النّفس البشريّة.

﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾: هناك ظلماتٌ متعدّدةٌ، قد تكون ظلمة الظّلام، وقد تكون ظلمة الجهل، وقد تكون ظلمة الظُّلم.

﴿تَدۡعُونَهُۥ﴾: الدّعاء هو طلب من الأدنى إلى الأعلى، والله ﷻ يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر]، طلب الله ﷻ منّا الدّعاء، وتكفّل هو بالإجابة.

﴿تَضَرُّعًا﴾: أي في خشوعٍ وخُفيةٍ.

(الآية ٦٤-) ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤﴾:

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾: هو إقرارٌ بأنّ الله ﷻ هو الّذي ينجّي من كلّ كربٍ وهمٍّ وضيقٍ يمكن أن يقع به النّاس، وهم بعد النّجاة يعودون إلى الشّرك.

﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾: الإنسان بعد خروجه من الأزمة أو الكرب أو المحنة الّتي يمرّ بها يعزو الأمر إلى إمكانيّاته، وقوّته وعلمه، يعزو الأمر للأسباب وينسى المسبِّب الّذي فرّج عنه كربه. وكلمة الإشراك معناها أنّ الإنسان يُشرك مع الله ﷻ من يعتقد أنّه يضرّ وينفع ويعطي ويمنع، عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ رأيت بوجهه أمراً ساءني فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله ما الّذي أرى بوجهك؟ قال: «**أمر أتخوّفه على أمّتي من بعدي**»، قلت: وما هو؟ قال: «**الشّرك وشهوة خفيّة**»، قال: قلت: يا رسول الله، أتشرك أمّتك من بعدك؟ قال: «**يا شدّاد، أما أنّهم لا يعبدون شمساً و لا قمراً و لا وثناً و لا حجراً ولكن يراؤون النّاس**

بأعمالهم»[1]، وذلك لاعتقادهم بأنّ النّاس ينفعون.. وهذا هو الإشراك بالله تبارك وتعالى، فالإنسان عندما ينجو من الكرب الّذي وقع فيه يعود إلى ما كان عليه سابقاً، وينسب الأمر لنفسه بدلاً من أن يشكر المولى ﷻ الّذي نجّاه من الكرب والضّيق الّذين وقع بهما.

(الآية ٦٥-) ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾: طلاقة القدرة لله ﷻ لا يحدّها شيءٌ؛ لأنّ الله ﷻ إذا أراد شيئاً فإنّما يقول له: كن، فيكون.

﴿عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: كالعذاب الّذي نزل بأبرهة الحبشيّ، أو الصّيحة أو الصّاعقة الّتي جاءتهم من فوق.

﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: عذاب الإغراق بالماء كما فعل بفرعون، أو الزّلازل الّتي أصابت بعض الأقوام في الزّمن الماضي، فالله ﷻ يبعث عذاباً من فوق النّاس أو من تحتهم.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: إلباس الأمر: أي اختلاط الأمر، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾[البقرة]، أي يزوّر القضيّة، يدخل الحقّ بالباطل، فعندما يقول المولى ﷻ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أي فرقاً متعدّدةً.

---

(١) المستدرك على الصّحيحين للحاكم: ج٤، ص/٣٦٦، الحديث رقم (٧٩٤٠).

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يسلّط أقواماً على أقوامٍ، هناك من يعتدي على الآخرين، وهناك من يحارب الآخرين، فليس العذاب أو الابتلاء الّذي يُصاب به النّاس هو فقط العذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم، وإنّما أيضاً كلّ الصّراعات الّتي تجري بينهم هي عبارةٌ عن ابتلاءٍ يتعرّضون له من جرّاء نكولهم عن منهج الله ﷻ.

﴿ٱنظُرْ﴾: يا محمّد، ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: الفقه هو الفهم الشّديد، ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾: تصريف: تحويل، أي كيف نحوّل الآيات، أحياناً الآية تأتي بعذاب الصّيحة، والآية تأتي بالشّمس والقمر، والآية تأتي بصراعات البشر.. كلّها عبارةٌ عن آياتٍ تحدث للبشر، وهي كلّها من قدرة الله ﷻ؛ لأنّه لا يستطيع أحدٌ أن يخرج من دائرة القدرة الإلهيّة، والله ﷻ يبيّن الحقّ ويبيّن الباطل، وهناك صراعٌ دائمٌ ومستمرٌّ عبر التّاريخ بين الحقّ والباطل.

(الآية ٦٦-) ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾:

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾: كذّبوا بالقرآن الكريم.

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ﴾: القرآن الكريم هو الحقّ، والتّكذيب بدأ في عهد النّزول وهو مستمرٌّ إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، لكن بأساليب وطرقٍ متعدّدةٍ، فعندما نزل كانوا يقولون: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: من الآية ٥]، وكانوا يقولون عن النّبيّ ﷺ: ساحرٌ أو مجنونٌ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذّاريات]،

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصّلت]، كذّبوا بالقرآن الكريم؛ لأنّه جاء بالمنهج الإلهيّ الّذي يمنع النّاس من الهوى، والنّاس تتصارع لكنّها لا تختلف بكلّ ما يخضع للتّجربة، أي للعلم، فلا يوجد كهرباء روسيّة وكهرباء أمريكيّة، ونظريّة الجاذبيّة الأرضيّة أو النّظريّات الفضائيّة أو التّقنيّات الحديثة كلّ البشر يستفيدون منها، وقد تتعاضد كلّ الدّول من أجلها؛ لأنّها لا تخضع للهوى، وليست قيميّة، وإنّما هي بالتّجربة، أمّا فيما يتعلّق بالمنهج والقيم فترى صراع الرّأسماليّة والاشتراكيّة والشّيوعيّة والمذهب كذا والرّأي كذا... إذاً يختلف البشر، وقد يؤدّي هذا الاختلاف إلى حروبٍ، لذلك فإنّ المنهج يأتي من عند الله ﷻ، وأوّل من يعترض على المنهج هم المفسدون في الأرض، فلذلك اعترضوا على رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ﴾.

والقرآن الكريم يتعرّض باستمرارٍ لحملاتٍ ممنهجةٍ، فعندما لم يستطيعوا تحريف كلام القرآن الكريم حرّفوا تفسيره، والمؤسّسات المعادية الصّهيونيّة والغربيّة تعمل دائماً على وضع أمورٍ تتعلّق بالتّشكيك بكتاب الله ﷻ، تارةً بحجّة أنّه يصادم العلم، وتارةً بحجّةٍ أخرى... ولكن أثبتت كلّ الحقائق العلميّة بأنّه لا يمكن أن يكون هناك تعارضٌ بين العلم وبين القرآن الكريم؛ لأنّ الحقيقة العلميّة من خلق الله ﷻ، والقرآن الكريم هو كلام الله ﷻ، والحقيقة العلميّة تُكتشف ولا تُخترع، وكلّ ما يُخترع يُبنى على ما هو مُكتشَف، فكلّها تعود إلى الخالق ﷻ، والخالق ﷻ هو القائل، وطالما أنّ

الخالق هو القائل فلا يمكن أن يتعارض العلم مع الإيمان بالله ﷻ، وإن وُجِد تعارضٌ فإمّا أن يكون هناك ظنّيّةٌ في الدّلالة، أو أنّ النّظريّة العلميّة تكون خاطئةً كما في نظريّة التّطوّر الّتي ثبت بأنّها خاطئة.

وقد وصف الله ﷻ القرآن الكريم بأنّه: ﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾، والحقّ: هو الشّيء الثّابت، فلا يمكن أن يوجد أبداً آيةً في كتاب الله ﷻ ليست حقّاً، وهناك أكثر من ألف آيةٍ تعطي إضاءاتٍ علميّة واضحة الدّلالات والمعاني، لذلك فالعلم لا يمكن أن يتصادم مع القرآن الكريم؛ لأنّه هو الحقّ.

ولا يمكن لأيّ إنسانٍ عاقلٍ على الإطلاق أن يقبل أن يتصدّى لكتاب الله ﷻ من لا يفقه بالقرآن الكريم، ومن ليس مختصّاً بعلم التّفسير، أو مختصّاً بكلّ العلوم الشّرعيّة وأن يقول: بأنّ الله ﷻ يقصد بهذه الكلمة كذا، فهذا صراعٌ لا يهدأ أبداً بين الحقّ والباطل ومحاولات التّشكيك بالقرآن الكريم واضحةٌ تماماً.

(الآية ٦٧-) ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧﴾:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ﴾: أي اطمئنّوا، فلكلّ نبأٍ وقتٌ يخرج فيه.

﴿مُّسۡتَقَرّٞۚ﴾: أي ميلادٌ يستقرّ فيه، أي لا تتعجّلوا الأحداث فإنّها ستأتي، لها مستقرٌّ، فعندما قال ﷻ: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ [القمر]، استغرب سيّدنا عمر رضي الله عنه، لأنّهم كانوا مستضعفين في مكّة، ثمّ رآها بعينه في غزوة بدرٍ، وكذلك قوله جلّ جلاله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣﴾ [الرّوم]، رأوها بأعينهم، وهذا معنى مستقرّ، أي

ميلادٌ يستقرّ فيه، فلا تتعجّلوا الأحداث.

(الآية ٦٨-) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾:

فإذا رأيت يا محمّد الّذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم، مع أنّه مكلّفٌ بالتّبليغ لماذا يقول له الله ﷻ: ﴿يَخُوضُونَ﴾؟ الجواب: لأنّ الخوض هو الغوص، كأنّهم يخوضون في الماء، هم لا يتحدّثون، بل يخوضون، فماذا تفعل؟ الجواب: أعرض عنهم حتّى يخوضوا في حديثٍ غيره، لماذا؟ لأنّه إذا خاض الإنسان في شيءٍ خارجٍ عن علمه، وبغير اختصاصٍ، فإنّك لن تستفيد من النّقاش معه، لذلك فأعرض عنه واتركه، وهذا ما حدث فعلاً مع رسول الله ﷺ.

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هذا الحديث لأتباع النّبيّ ﷺ، لكن المخاطبة تكون من خلال رسول الله ﷺ.

لماذا نسب النّسيان للشّيطان؟ الجواب: لأنّ القرآن الكريم هو حقٌّ، ولا يمكن أن ينسى الإنسان الحقّ، وإنّما الّذي يُنسي الحقّ هو الشّيطان.

(الآية ٦٩-) ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾:

إن قمت من مجلسهم يا محمّد فهو شيءٌ أكثر أهمّيّةً من هذا المجلس؛ لأنّ قيامك من المجلس والإعراض عنهم هو تذكرةٌ لهم.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: وليس عليك شيءٌ يا محمّد، فهم يتحمّلون أوزار أنفسهم بما قدّموا وبما عملوا وبما خاضوا بآيات الله ﷻ بغير هدى.

(الآية ٧٠-) ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾:

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾: اللّعب: هو الاشتغال بما لا يفيد ولا ينفع، وإذا شغلك اللّعب عن واجباتك يصبح لهواً، هذا هو الفارق بين اللّعب واللّهو، اللّعب لا بأس به، لكنّ اللّهو أن تُشغل عن واجباتك وعن مسؤولياتك. فهم اتّخذوا الدّين لعباً ولهواً.

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: في هذه الآية بيانٌ عظيمٌ لكلّ البشر بأنّ الحياة الدّنيا هي متاع الغرور، ومشكلة النّاس بأنّهم نقلوا الغايات إلى الوسائل، والوسائل أصبحت غاياتٍ، فوجودك في الدّنيا وسيلةٌ لا غايةٌ؛ لأنّ هناك موتاً، ولو لم يكن هناك موتٌ لقلنا: هذا الكلام صحيحٌ، فمثلاً: درست وحصلت على الشّهادة الثّانويّة ثمّ تخرّجت من الجامعة وبعدها عملت وتزوّجت.. ماذا بعد ذلك؟ الّذي ليس له بعد هو الّذي يكون الغاية، المشكلة هي أنّ النّاس جعلوا الوسائل غاياتٍ، الحياة هي وسيلةٌ للوصول إلى ما بعد الموت، أي إلى الحساب والعقاب أو الثّواب، ولو أنّ

الإنسان استطاع أن يوقف عجلة الموت، وأن يردّ مَلَك الموت، وأن يخترع ما يبقيه على قيد الحياة لكان هناك تفكيرٌ آخر، لكن الحقّ أنّه ما تخلّف أحدٌ منذ أن خلق الله ﷻ آدم عليه السلام إلى هذه اللّحظة عن قانونٍ اسمه قانون الموت، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر]، وقال جلّ وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران]، والدّنيا أغيار، ما معنى أغيار؟ هل هناك شيءٌ ثابتٌ بالنّسبة للدّنيا؟ عمرك يومٌ، هل تثبت على عمرك يوم؟ أنت تتغيّر: طفلٌ ثمّ يافعٌ ثمّ شابٌ ثمّ رجلٌ ثمّ كهلٌ، صحيحٌ، سقيمٌ، قويٌّ، ضعيفٌ، غنيٌّ، فقيرٌ، عالم أغيارٍ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كُنْ في الدّنيا كأنّك غَريبٌ أو عَابرُ سَبيلٍ**»(١)، إيّاكم أن تعتقدوا أنّنا نقلّل من شأن الدّنيا، قال ﷺ: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ، وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**»(٢)، فلا يقل أحدٌ: بأنّ الإسلام ضدّ عمارة الأرض، قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب قول النّبيّ ﷺ: «**كن في الدّنيا كأنّك غريبٌ أو عابر سبيل**»، الحديث رقم (٦٠٥٣).

(٢) المسند الجامع: ج ٦، ص٦٠، الحديث رقم (١٦٢٤).

﴿ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة]، لكن على الإنسان أن يعتقد أنّ هناك نهايةً لهذه الحياة، وفي كلّ يومٍ يودّع الإنسان أحباباً وأصدقاءَ وأقرباء وأشقّاء وجيراناً، ويضعهم تحت التّراب، وهو يرى المنظر بعينيه، لذلك فالحياة الدّنيا ليست بدار قرار.

﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾: به أي بالقرآن الكريم.

﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾: تبسل: تمنع وتحبس. ذكّر بالقرآن الكريم بعاقبة مخالفة المنهج.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾: أي أُهلكوا وحُبِسوا بالجحيم.

﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾: أي بما قدّمت أيديهم.

(الآية ٧١-) ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾:

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: هذه دعوةٌ للعقل البشريّ، إن كنت تعبد صنماً أو وثناً أو شمساً أو قمراً أو تعبد إنساناً، فحاكم الأمر بعقلك، هل يضرّ أو ينفع؟ هذه الشّمس أو هذه الأوثان والأصنام الّتي عبدوها، هل كانت تقدّم لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضرّاً؟

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا﴾: الردّ على العقب هو رجوعٌ خطوة إلى الوراء.

﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى

﴿ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾: كأنّه ما بين أمرين، الشّيطان يدعوه لأن يهوي، وأصحاب الصّلاح يدعونه إلى الهدى، وعندما يتحدّث القرآن الكريم عن الشّيطان فهو من عالم الغيب، وهو كلّ شريرٍ مُفسدٍ من الجنّ، والله ﷻ بيّن لنا بأنّ هناك مخلوقاتٍ تسمّى الجنّ، والمشكلة لدينا أنّنا نريد أن ندرك كلّ ما هو مخلوقٌ بحواسّنا، ولكن هذا يستحيل على الإنسان، لذلك ليس كلّ ما لا ندركه هو غير موجودٍ، هو موجودٌ حتّى لو لم ندركه، ويكفي أنّ الله ﷻ أخبرنا بأنّ هناك خلقاً من خلقه يطلق عليهم الجنّ، فإذاً نحن نؤمن بما جاء في القرآن الكريم.

﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي أن نسلّم قياد أمرنا لله ﷻ؛ لأنّ خالق الخلق هو الّذي يحدّد مهمّة الخلق، لماذا خُلق الإنسان؟ لماذا هو موجودٌ؟ هناك عالِم أمريكيّ أسلم اسمه جفري لانغ ألّف كتاباً، هذا الكتاب هو: حتّى الملائكة تسأل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، حتّى الملائكة تسأل، أليس جديرٌ بالإنسان أن يسأل من أين أنا وُجدت؟ وما هي مهمّتي في هذه الحياة؟ وإلى أين سأعود وما هو المآل؟ هل وُجدنا صدفة؟ هل القمر والشّمس والهواء والماء والغيوم والشّجر والأرض والتّراب والبشر صدفة؟ هل نحن مخلوقون لغايةٍ؟ إذاً هناك أسئلةٌ كثيرةٌ يجب أن يفكّر بها الإنسان، وقد أرسل الله ﷻ الرّسل الّذين جاؤوا بالكتب وأجابوا على هذه الأسئلة الّتي تراود عقول النّاس في كلّ

زمانٍ، وكلّ الأنبياء قالوا: أسلمنا لربّ العالمين، أي نمتثل لأوامر الله ﷻ.

(الآية ٧٢-) ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾:

لماذا قال: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، ولم يقل: (وآتوا الزّكاة)، أو (وحجّوا البيت)، أو (وصوموا رمضان)؟ الجواب: الصّلاة هي عماد الدّين، من أقامها فقد أقام الدّين، ومن هدمها فقد هدم الدّين، والصّلاة هي ليست أحد أركان الإسلام فقط، فهي تجمع كلّ الأركان في ثناياها، والصّلاة هي استدامة ولاءٍ لله ﷻ خمس مرّاتٍ في اليوم واللّيلة، فعندما تسمع المؤذّن يقول: حيّ على الصّلاة، أنت تقيم الصّلاة، ولا تؤدّي الصّلاة، هناك فارقٌ ما بين الأداء وما بين الإقامة، فالإقامة أن تقيم الصّلاة بشروطها، بخشوعها، كما قال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون]، والصّلاة هي الرّكن الوحيد الّذي لا يسقط في أيّ حالٍ من الأحوال، فإن لم تستطع أن تؤدّيها قائماً أدّيتها قاعداً، وإن لم تستطع أن تؤدّيها قاعداً أدّيتها مستلقياً، وإن لم تستطع أن تؤدّيها باللّسان صلّيت بالعينين، وإن لم تستطع الوضوء تتيمّم.. فالصّلاة لا تسقط في حالٍ من الأحوال، بينما الصّوم يؤجّل لمن كان مريضاً أو على سفرٍ، والحجّ لمن استطاع إليه سبيلاً، والزكاة تسقط عمّن لم يمتلك النّصاب،كلّ الأركان لها استثناءٌ إلّا الصّلاة، كذلك إنّ الصّلاة تجمع كلّ الأركان الأخرى في ثناياها، ففيها جزءٌ من الحجّ فكلّما أردت أن تصلّي فإنّك ستّتجه باتّجاه الكعبة الشّريفة أينما كنت، وفيها صيامٌ؛ لأنّه أثناء الصّلاة لا تستطيع

الأكل والشّرب، ولا تستطيع أن تمارس المهامّ العاديّة الّتي تمارسها في حياتك، وفيها الزّكاة؛ لأنّ الزّكاة هي اقتطاع جزءٍ من المال، وأصل المال هو العمل، وأصل العمل هو اقتطاع جزءٍ من الوقت، وفي الصّلاة اقتطاع جزءٍ من الوقت، فالصّلاة تجمع كلّ هذه الأركان، وهي استدامة ولاءٍ لله ﷻ، وكان النّبيّ ﷺ إذا فزع أو حزبه أمرٌ أو اهتمّ أو اغتمّ يقول: «**يا بلال، أقم الصّلاة، أرحنا بها**»[1]، لم يقل مرّةً: (أرحنا منها)، بل قال: «**أرحنا بها**»؛ لأنّك تقف بين يدي الله ﷻ، وعندما فرض الله ﷻ كلّ الأركان الإسلاميّة والعبادات فرضها بواسطة جبريل عليه السلام، باستثناء الصّلاة فإنّ الله ﷻ رفع النّبيّ ﷺ إلى سدرة المنتهى، إلى حيث لا يبلغ ملَكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ، وهناك فإنّ الله ﷻ مباشرةً أمر النّبيّ ﷺ بالصّلاة، فكانت الصّلاة هي معراج القلوب إلى حضرة الله ﷻ علّام الغيوب، هذه الصّلاة هي عطاءٌ خاصٌّ للمؤمن، فيستطيع الإنسان أن يلاقي ربّه في أيّ وقتٍ وفي أيّ ساعةٍ وفي أيّ لحظةٍ حتّى لو لم يكن في وقت الصّلاة، فإنّه يستطيع أن يتوضّأ ويتّجه إلى القبلة ويصلّي ركعتين، فهو يقف بين يديّ الله ﷻ لكن لا بدّ من حضور القلب، ومن الخشوع أثناء الصّلاة.

﴿وَٱتَّقُوهُ﴾: نتّقي: أي نبتعد عن كلّ ما نهى الله ﷻ عنه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾: أي أنّ يوم الحشر سنحشر جميعاً إلى ربّنا تبارك وتعالى وسيكون السّؤال، وأوّل ما يُسأل عنه المرء يوم القيامة هي

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، الحديث رقم (٤٩٨٥).

الصّلاة، يقول ﷺ: «**إنّ أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيءٌ قال الرّبّ ﷻ: انظروا هل لعبدي من تطوّع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثمّ يكون سائر عمله على ذلك**»[1]، قال ﷻ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدّثر]، أوّل جواب هو: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدّثر].

(الآية ٧٣-) ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: خَلْقُ السّماوات والأرض أكبر من خلق الإنسان، بهذا الإعجاز، بهذا النّظام المتناهي بالدّقّة، وبالحركة والدّوران، وبكلّ ما فيه من مكوّنات، هذا الكون ما بين السّماوات والأرض خلقهما الله ﷻ بالحقّ، والحقّ هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغيّر.

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾: أي لا تعتقد أنّ الخلق فقط هو الحقّ، أيضاً دمار الكون هو حقّ، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ [التّكوير]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب أبواب الصّلاة، باب ما جاء أنّ أوّل ما يُحاسَب به العبد يوم القيامة الصّلاة، الحديث رقم (٤١٣).

﴿بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾ [الانفطار].

﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾: له المُلك يوم القيامة فقط؟ أليس الآن له المُلك أيضاً؟ الجواب: النّفخ في الصّور هو مقدّمةٌ للحشر، عندما يحدّد له المُلك؛ لأنّ الله ﷻ أعطى في هذه الدّنيا للنّاس مُلكاً، فأنت تقول: أنا مالك ثوبي، أنا مالك نظّارتي، ويأتي شخصٌ آخرٌ يقول: أنا مَلِكٌ عليك، ففي ذلك اليوم لا مُلك ولا مالك لا مَلِك ولا مُلك إلّا لله ﷻ.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾: كلّ ما يتعلّق بالعقيدة هو غيبٌ، الله جلّ وعلا بالنّسبة لنا هو غيبٌ، اليوم الآخر هو غيبٌ، الجنّة غيبٌ، النّار غيبٌ، الملائكة غيبٌ، الكتاب غيبٌ، صحيحٌ أنّ الكتاب معك، لكن هذا الكتاب عند نزوله على رسول الله ﷺ هو غيبٌ، والرّسل غيبٌ، صحيحٌ أنّ أقوامهم شهدتهم في مرحلةٍ زمنيّةٍ معيّنةٍ، ولكن لم يشهدوا كيف كُلّفوا بالنّبوّة أو بالرّسائل السّماويّة، لذلك هي غيبٌ، فالإيمان هو إيمانٌ بالله تبارك وتعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهذا كلّه غيبٌ، والقدر خيره وشرّه هو من الغيب. وطالما هو عالم الغيب فمن الأمر الطّبيعيّ أن يكون عالم الشّهادة، يعلم الغيبيّ والمشهود.

﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾: الحكمة: هي كلّ شيءٍ يوضع بمقداره وبزمانه وبوقته، هو حكيمٌ في كلّ أمرٍ من الأمور، وهو خبيرٌ بخلقه، وبمآل خلقه، وبأفعال خلقه، لذلك فإنّ المولى ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ۝١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ

﴿قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ
تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ
فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق]، وكأنّ الإنسان في هذه الحياة يكون على بصره غشاوةٌ، فلا يبصر إلّا بعد الموت؛ لأنّه يصبح في قانونٍ مختلفٍ، ويبصر كلّ الحقائق.

هذه الآية يتحدّث بها المولى ﷻ عن خلق السّماوات والأرض بأنّها خُلِقَت بالحقّ، وأنّ نهاية الكون ستكون بالحقّ، وأنّه عالم الغيب والشّهادة، وبحكمته وخبرته ﷻ سيُحاسب الخلق على ما فعلوه، فالحسنة بعشر أمثالها وأضعافٍ مضاعفةٍ، أمّا السيّئة فلا يجزى الّذين عملوا السّيّئات إلّا بما عملوا.

(الآية ٧٤-) ﴿* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ
وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾:

أراد الله ﷻ أن يحاجج القوم الّذين يعدّون أنفسهم أنّهم ينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام، وأن يسلّيّ قلب النّبيّ ﷺ، ويضع الحجّة على هؤلاء القوم الّذين كانوا يعبدون اللّات والعُزّى والأصنام في ذلك الوقت، فقال جلّ وعلا: ﴿* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: عندما تجد كلمة (إذ) أي حين، ظرف زمانٍ، أي اذكر يا محمّد الزّمن الّذي كان فيه إبراهيم.

﴿لِأَبِيهِ آزَرَ﴾: لماذا ذكر القرآن الكريم اسم الأب؟ وعادةً لا يذكر القرآن الكريم أسماءً في الآيات إلّا إذا كان هناك مدلولٌ معيّنٌ بالنّسبة لهذه الأسماء، ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: من الآية ٣٥]، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾

[يوسف: من الآية ٥١]، ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾ [القصص: من الآية ٩]، هنا حدّد اسم الأب، ونجد بأنّ النّبيّ ﷺ يقول في الحديث: «**لم أزل أنقل من أصلاب الطّاهرين إلى أرحام الطّاهرات**»(١)، فكيف يكون والد إبراهيم عليه السلام من عبدة الأصنام والأوثان، والقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ [التّوبة: من الآية ٢٨]، فوالد إبراهيم عليه السلام يجب أن يكون موحّداً، توقّف العلماء عند هذه الآية، فوجدوا أنّ اسم الأب يطلق في القرآن الكريم على الجدّ وعلى جدّ الجدّ وعلى الأب وعلى العمّ أيضاً، بدليل قول الحق ﷻ: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة]، يعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم جدّ الجدّ، وإسحاق الجدّ، ويعقوب هو الأب، لكن ذُكر بينهم إسماعيل، وهو عمّ يعقوب، وأخو إسحاق، فإذاً العمّ يطلق عليه اسم الأب في القرآن الكريم، وقد قال السّادة العلماء: بأنّ القرآن الكريم عندما بيّن الاسم آزر، فالمقصود منه عمّ سيّدنا إبراهيم عليه السلام الّذي ربّاه، أمّا والد سيّدنا إبراهيم فاسمه تارخ وليس آزر، وقد كان في كنف عمّه الّذي ربّاه؛ لأنّ والده كان ميّتاً، ففي اللّغة العربيّة مثلاً عندما يطرق شخصٌ ما الباب ويفتح له طفلٌ يقول له: نادِ أباك، ولا يقول له: نادِ أباك أحمد؛ لأنّه عندما يسمّي الاسم يقصد غير الأب، هو يعرف أنّ أباه اسمه أحمد، إذاً يقصد عمّه.

---

(١) سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد: الجزء الأوّل، ص ٢٥٦.

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾: نعرف النّقاشات والحوارات الّتي تمّت، وهذا يدلّ على أنّ الإسلام يعتمد على الحوار والحجّة والبرهان وعلى العقل في إثبات العقيدة الإيمانيّة وليس على القهر. فما الفرق بين الأصنام والأوثان؟ الأصنام هي حجارةٌ تُصنع وفق مثالٍ حيٍّ، مثلاً تصنع صنماً لشخصٍ، صنماً للقمر...، أمّا الأوثان فهي حجارةٌ لم تُعالج، تبقى على حالها، وطالما استخدم سيّدنا إبراهيم عليه السلام كلمة أصنام إذاً كانوا يصنعون من الحجارة أشكالاً توحي بأنّها آلهةٌ للكواكب والشّمس والقمر في ذلك الوقت.

﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: الضّلال هو أن يخطئ الإنسان الطّريق، ويخطئ الغاية، فعندما يخطئ الغاية الّتي يريد فهذا ضلالٌ واضحٌ.

(الآية ٧٥-) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾:

الملكوت صيغة مبالغةٍ للمُلك، مثل رحموت صيغة مبالغةٍ من الرّحمة، المُلك دائماً يتعلّق بالأشياء الظّاهرة الّتي لا تغيب عنك، أمّا الملكوت فهو عالم الغيب، فعندما قال سيّدنا إبراهيم عليه السلام لقومه وأبيه آزر: إنّكم تضلّون الطّريق في الغاية الموصلة، أراه الله سبحانه وتعالى وأطلعه على ملكوت السّماوات والأرض، أي ما يتعلّق بعالم ما وراء الأسباب، وقد تعرّض سيّدنا إبراهيم للكثير من الابتلاءات، ولكنّه كان يؤمن إيماناً مطلقاً بعالم ما وراء الأسباب، فعندما أُلقي في نيران النّمرود اعترضه جبريل عليه السلام: "هل لك من حاجةٍ يا إبراهيم؟"، فقال له: "أمّا لك فلا، وأمّا إلى ربّي فعلمه بحالي يكفي عن

سؤالي"، فجعل الله ﷻ النّار برداً وسلاماً عليه.

الملكوت كما ذكرنا هو العالم الغائب عنّا، والله ﷻ يدلّ بالشّيء الظّاهر على الشّيء الغائب، فعندما يتحدّث عن الموت، وهو شيءٌ غائب، يضرب المثال بالنّوم: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزّمر]، ويقول ﷺ: «**والله لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، وإنها الجنّة أبداً أو النّار أبداً**»[1]. دائماً عالم الملكوت يُقَرَّب بما هو في عالم المُلك.

(الآية ٧٦-) ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾: جنّ: ستر، أي ستره اللّيل بظلامه.

﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾: الكوكب هو الّذي يُنار من غيره، أمّا النّجم فمضيءٌ من ذاته، وهذا هو الفارق بينهما، فالقمر كوكبٌ والشّمس نجمٌ، والإضاءة تأتي من الشّمس والقمر يعكسها.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: أي غاب.

﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾: طالما غاب فهذا ليس ربّاً.

قال المستشرقون: أنتم تقولون: إنّ إبراهيم كان يُنكر عليهم عبادة الأصنام، وهو يقول عن الكوكب: هذا ربّي، بدليل هذه الآية، فما هذا

---

(١) الرّحيق المختوم: المرحلة الثّانية: الدّعوة جهراً، المجلّد الأوّل، ص ٥٩.

التّناقض؟! بالتّأكيد لا يوجد تناقضٌ، فهم لا يعرفون أساليب استخدام اللّغة العربيّة، مثل قوله ﷻ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدّخان]، هو يعذّبه ويقول له: أنت العزيز الكريم، فهل هو عزيزٌ كريمٌ؟ الجواب: لا، فسيّدنا إبراهيم عليه السلام يستنكر عقليّاً قولهم: هذا ربي! لأنّهم هم من يعبدون الكواكب والشّمس والقمر، وعندما أفل قال: لا أحبّ الآفلين، هل من المعقول أن يكون هذا ربّي؟! هذا هو المعنى باللّغة العربيّة، وإبراهيم عليه السلام كان يعلم بأنّ الكوكب سيأفل، فعندما أفل قال: هل يعقل أن يكون هذا ربّي؟ فهو إذاً نقاشٌ عقليٌّ، وحجّةٌ وبرهانٌ على قومه، وليس معنى هذا أنّ سيّدنا إبراهيم كان متردّداً.

(الآية ٧٧-) ﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾﴾:

عمليّاً هو يستدرج قومه عقليّاً، رأى القمر فقال: هذا ربّي؛ لأنهم صنعوا أصناماً للشّمس وللقمر والكواكب، صنعوها؛ لأنّها تغيب.

﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾: وهذا دليلٌ على ما أقول، انظروا إلى دقّة الكلام في القرآن الكريم، فهو يؤمن بالله ﷻ، لكنّه في عمليّة نقاشٍ، ويستنكر أن يقول القوم: بأنّ القمر هو ربّهم، هذا معنى الآية، وليس معناها أنّه متردّدٌ، تارةً يقول: القمر، وتارةً يقول: الكوكب، ثمّ يقول: الشّمس. وعندما قال: ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ وكأنّه يخاطبهم: بأنّكم تحتاجون إلى إمدادات الله ﷻ، وإلّا

فإنّكم ستضلّون الطّريق ولن تصلوا إلى معرفة الخالق ﷻ.

(الآية ٧٨-) ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾:

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾: بزغَتِ الشّمس، وبزغ القمر: بدأ طلوعُه.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾: ولم يقل: هذه ربّي، مع أنّ الشّمس مؤنّثة، انظروا إلى الدّقّة، أوّلاً: هذا تنزيهٌ من علامة التّأنيث، ثانيّاً: لأنّ الشّمس مؤنثٌ مجازيٌّ.

﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ﴾: الشّمس أكبر من القمر.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: عندما أفلت الشّمس وأفل الكوكب وأفل القمر قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، الشّمس والقمر والكواكب والأصنام الّتي صنعتموها لهم كلّها لا تساوي شيئاً، وهي تأفل ولا تضرّ ولا تنفع ولا تُعبد، هم ورثوا هذه العبادات عن آبائهم، فلا يمكن إخراج النّاس ممّا ألفوه إلّا بالحجّة والبرهان العقليّ والدّليل السّاطع، لهذا السّبب استخدم إبراهيم عليه السلام هذا الطّريق، طريق الحوار والنّقاش، والآن بعد أن أثبت بالحجّة بطلان ما يدّعون، أعلن تبرّؤه ممّا يُشركون.

(الآية ٧٩-) ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: أي توجّهت بكلّيّتي.

﴿لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾: أتى على خلق السّماوات والأرض؛ لأنّ خلق السّماوات والأرض أكبر من خلق النّاس.

﴿حَنِيفٗاۖ﴾: الحنيف: هو المائل عن الشّرك، والمائل عن الشّرك مستقيمٌ على الطّريق، لذلك اسمه حنيف؛ لأنّ عادة القوم كانت الإشراك.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: فأعلن إبراهيم عليه السلام التّبرّؤ من عبادة الأصنام والأوثان وما كان عليه قومه، وأنذر قومه من خلال الحجّة والبرهان والدّليل السّاطع، وأحرج القوم من خلال هذه الحوارات الّتي كانت تتمّ.

(الآية ٨٠-) ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾:

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾: حاجّه: أي حاججه، والحِجاج: هو الجدل المبطل لرأي الآخر.

﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾: بعد أن تحدّث عن الكواكب وعن القمر وعن الشّمس.. وكيف أنّها لا تضرّ ولا تنفع، وبيّن لهم أنّه مؤمنٌ بالله تبارك وتعالى الّذي فطر السّماوات والأرض، وقدّم الحجّة والبرهان على ذلك، ردّ على قومه عندما جادلوه وناقشوه بالباطل: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾، أنتم تحاجّون في أمر الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾: أي أنّهم خوّفوه.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾: لماذا استثنى هنا؟ والجواب: معنى هذا كأنّه

يقول: بأنّكم تخوّفونني بالأدوات والوسائل، وقد يعتقد بعض النّاس أنّ الأسباب تفعل بمشيئتها، والواقع أنّ الأسباب تفعل بمشيئة الخالق ﷻ، لذلك كان علماؤنا الأجلّاء يقولون: لا تقلق من تدابير البشر، فإنّ أقصى ما يستطيعون فعله معك هو تنفيذ إرادة الله ﷻ فيك، أي لا تقلق من تدابير البشر؛ لأنّها لن تكون فاعلةً إلّا أن يشاء الله ﷻ.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أفلا تتعظون.

(الآية ٨١-) ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾: كيف: للتّعجب.

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: هناك تحديدٌ لمحل النّزاع، ما هي الغاية من الحجاج والنّقاش؟ هل الغاية فقط أن أنتصر عليك في الحجّة والبرهان؟ بالتّأكيد لا، فأنا أعرض وجهة نظر أو فكرةً معيّنةً وأنت تعرض الفكرة المضادّة، والمهمّ أن نصل إلى الحقّ، وليس المهمّ أن أنتصر أنا أو تنتصر أنت، المهمّ القضيّة الّتي نبحث عنها والّتي نتحاور من أجلها، فلذلك قال الخليل عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾، سلطان العلم، والعلم قضيّةٌ واقعيّةٌ تستطيع أن تدلّل عليها عقليّاً، هذا سلطان العلم والحجّة والبرهان.

﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: هنا المساواة الّتي وضعها الخليل بينه وبين من يحاججه، والأمن: هو كلّ ما يتعلّق بسلام الإنسان الدّاخليّ والمجتمعيّ والأخرويّ، لذلك قال ﷺ: «**من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدّنيا**»[1].

(الآية ٨٢-) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾:

عن عبد الله ﷺ قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، شقّ ذلك على النّاس وقالوا: يا رسول الله، فأيّنا لا يظلم نفسه؟ قال ﷺ: «**إنّه ليس الّذي تعنون! ألم تسمعوا ما قال العبد الصّالح: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾** [لقمان: من الآية ١٣]، **إنّما هو الشّرك**»[2]، إذاً المقصود هو الإشراك بالله ﷻ، والإشراك بالله ﷻ ليس فقط أن تعبد صنماً أو قمراً.. الإشراك بالله ﷻ أن تعتقد أنّ أحداً يضرّ وينفع، ويعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويخفض ويرفع، غير الله ﷻ، الإنسان يشرك أحياناً هواه، قال تبارك وتعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: من الآية ٤٣].

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الزّهد، الحديث رقم (٢٣٤٦).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند المكثرين من الصّحابة، مسند عبد الله بن مسعود ﷺ، الحديث رقم (٣٥٨٩).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: لأنّهم لم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ، أي أنّه إيمانٌ صافٍ خالصٌ، اعتقادٌ أنّ الله ﷻ يملك مقادير الحياة والموت، والله جلّ وعلا لا غالب لأمره وسلطانه.

(الآية ٨٣-) ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: إذاً حتّى الأنبياء جاؤوا بالحجج حتّى يقنعوا العقول؛ لأنّ الله ﷻ هو خالق العقل، والعقل هو مناط التّكليف، فهذا هو الاحترام الكبير للعقل البشريّ، لذلك نرى أنّ الله ﷻ عندما خلق آدم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، احتجّ بالعلم، والعقل هو مناط العلم والتّكليف، وهذا هو الإسلام الّذي يتحدّث عنه فلا يزايدنّ أحدٌ علينا بموضوع العلم والإيمان والعقل البشريّ، فهذا أمرٌ من أسس الشّريعة الإسلاميّة، وهو واضحٌ تماماً، وهنا قال ﷻ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ أراد الله ﷻ أن تؤمن بالعقل، بالعلم، بالحجّة، بالبرهان، لذلك أعطى تبارك وتعالى الأنبياء عليهم السلام الحجّج والبراهين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: واستخدم الله ﷻ هنا صفة العلم والحكمة؛ لأنّ الموضوع يتعلّق بالحجّة والعقل والبرهان والحكمة في وضع الأمور في نصابها وفي مكانها.

(الآية ٨٤-) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾:

يتابع المولى ﷻ عن تكريمه لإبراهيم الخليل عليه السلام:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ﴾: الله ﷻ وهب له إسحاق وإسماعيل، لكنّ الله ﷻ قال هنا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ﴾ لماذا؟ الجواب: لأنّ يعقوب ابن ابنه أي حفيده الّذي جاء منه أنبياء بني إسرائيل، فمعظم الأنبياء الّذين جاؤوا بعد إبراهيم الخليل عليه السلام جاؤوا من نسل إسحاق وليس من نسل إسماعيل، بينما أُختصّ إسماعيل بنبيٍّ واحدٍ هو النّبيّ محمّد ﷺ فقط، أمّا كلّ الأنبياء الّذين سيأتي ذكرهم الآن جاؤوا من نسل يعقوب بن إسحاق.

﴿كُلًّا هَدَيْنَاۚ﴾: إسحاق عليه السلام كان نبيّاً، ويعقوب عليه السلام كذلك، لكن لكي لا يعتقد أحدٌ أنّ الهداية محصورةٌ بهم فقط، وأنّها بدأت من إبراهيم الخليل ومن أبنائه إسحاق ويعقوب، فقال: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ﴾، فمن قبل أيضاً أرسلنا بهدايتنا وبرسالتنا أنبياء آخرين، وعلى رأسهم نوح، فلم بدأ من عند نوح عليه السلام؟ الجواب: لأنّ البشريّة قد تعرّضت للفناء في الطّوفان الّذي حدث، فنوحٌ عليه السلام ومن نجا معه هم الّذين يتحدّث القرآن الكريم عنهم وعن الهداية.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: قال العلماء: عندما نقول: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: هل

داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون عليهم السلام من ذريّة إبراهيم أو أنّهم من ذريّة نوح؟ الجواب: عمليّاً الذّرّيّة واحدةٌ؛ لأنّ إبراهيم عليه السلام من ذرّيّة نوح عليه السلام، لكن دائماً تأتي الهاء لأقرب مذكورٍ، وأقرب مذكورٍ كان نوحاً عليه السلام، فهم من ذرّيّه نوحٍ.

﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ﴾: ما الّذي جمع بين هؤلاء الأنبياء؟ داود وسليمان: مَلِكان ولهما سلطانٌ وقدرةٌ إضافةً للنّبوّة، أيّوب: الابتلاء الشّديد والصّبر، يوسف: جمع بين الاثنين بين الابتلاء وبين الحكم، قال ﷻ على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف]، وموسى وهارون جاءا بالرّسالة، وموسى عليه السلام كان معه التّوراة، وكلّهم من نسل يعقوب عليه السلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: هؤلاء من الأنبياء الّذين كانوا من المحسنين، والإحسان أن تعبد الله ﷻ كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، فكانوا يحقّقون الغاية من الهداية ومن الاستقامة الّتي أمر بها الإسلام.

(الآية ٨٥-) ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾:

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ﴾: كلّهم من النّسل ذاته، وهنا هؤلاء الأنبياء الأربعة اجتمعوا بقضيّةٍ واحدةٍ، وهي الزّهد، لذلك قال ﷻ: ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

(الآية ٨٦-) ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾:

﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الملائكة من ضمن العالمين، إذاً الأنبياء مفضّلون على الملائكة.

الّذي يجمع هؤلاء الأربعة: إسماعيل واليسع ويونس ولوط عليهم السلام، هو أنّهم لم يبق لهم أتباعٌ.

ذكر المولى ﷻ هنا ثمانية عشر نبيّاً، وجاء في مواضع أخرى: آدم وإدريس وهود وذو الكفل وصالح وشعيب ونبيّنا محمّد ﷺ، هذه كلّ أسماء الأنبياء الواردة في كتاب الله ﷻ، وعددهم خمسةٌ وعشرون نبيّاً.

(الآية ٨٧-) ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾:

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ﴾: أي أنّ الله ﷻ جعل هذا الصّلاح في آبائهم وذرّيّتهم وإخوانهم.

﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾: قرّبناهم.

﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: صراط الله ﷻ وهو الإسلام، والإسلام كما قلنا: هو الاستسلام لأمر الله ﷻ، وكلّ الأنبياء جاؤوا بالإسلام بمعناه العامّ، وليس بشريعته، أمّا بشريعته فجاء به النّبيّ محمّد ﷺ، ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أنعم الله ﷻ على هؤلاء الأنبياء بأنّهم كانوا هم الهداة الّذين يهدون البشريّة إلى هذا الصّراط، والصّراط المستقيم هو أقصر طريقٍ يوصل إلى الغاية، والغاية هي الوصول إلى رضوان الله ﷻ وإلى جنّات الخلد، نردّد في كلّ صلاةٍ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة]،

صراط الّذين أنعم الله ﷻ عليهم من النّبيّين والصّديقين والشّهداء والصّالحين.

(الآية ٨٨-) ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾:

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾: أي ما مرّ هو هدى الله ﷻ، وقلنا: بأنّ الهداية لها نوعان: إمّا هداية دلالةٍ، أو هداية معونةٍ، هداية الدّلالة كُلّف بها الأنبياء عليهم السلام، فهُدى الله ﷻ هو الرّسالات السّماويّة، والبلاغ عن الله ﷻ الّذي كُلّف به الأنبياء عليهم السلام.

﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾: قد تقول: لم يشأ الله ﷻ أن يهديني، الله ﷻ لم يشأ عندما لم تختر، وهو ترك لك الخيار ووضع لك مشيئةً، لو لم يشأ لم تكن لك مشيئةٌ، ولأجبرك على الاختيار، قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس]، والإنسان يُحاسَب على اختياره، ولا يُحاسَب على علم الله ﷻ باختياره، وهذا هو مناط التّكليف، ومناط الثّواب والعقاب، وهو واضحٌ للنّاس جميعاً، وأمرنا الله ﷻ أن نأخذ بهذا الطّريق ولكنّنا نحن اخترنا الطّريق الآخر، لذلك: ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾، فمشيئة الله ﷻ بأن جعل لك مشيئةً، ولو أراد ﷻ لما جعل لك مشيئةً.

﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: فكلّ عملٍ مع الإشراك لا يغني.

(الآية ٨٩-) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: أولئك الأنبياء عليهم السلام الّذين ورد ذكرهم سابقاً.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: منهم من آتاه الله سبحانه وتعالى الكتاب، كسيّدنا موسى عليه السلام آتاه الله سبحانه وتعالى التّوراة، وسيّدنا عيسى عليه السلام آتاه الإنجيل، وسيّدنا داود عليه السلام آتاه الزّبور، وسيّدنا إبراهيم عليه السلام آتاه الصُّحُف.

﴿وَالْحُكْمَ﴾: وهما سليمان وداود عليهما السّلام.

﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: وهم بقيّة الأنبياء عليهم السلام.

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ﴾: من هؤلاء؟ هم مشركو الجزيرة العربيّة، وهم اليهود الّذين حاربوا وناصبوا النّبيّ صلى الله عليه وسلم العَداء، فإن يكفروا بهذه الرّسالات السّماويّة، وبرسالتك يا محمّد، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾: قال العلماء: هم الأنصار أهل المدينة المنوّرة والمهاجرون الّذين هاجروا مع النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وهم ليسوا كافرين بكلّ هذه الرّسالات السّماويّة؛ لأنّهم آمنوا بالنّبيّ صلى الله عليه وسلم وبرسالته، هذه الرّسالة الّتي وحّدت الرّسالات جميعها.

(الآية ٩٠-) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾: أولئك الأنبياء عليهم السلام أعطاهم الله عزّ وجلّ الهداية لهداية البشريّة.

﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾: الأنبياء السّابقون منهم من كان له المُلك

والسّلطان والقدرة، ومنهم من أصابه البلاء الشّديد، فخذ يا محمّد قدوةً بكلّ الأنبياء، فكلّ الصّفات الصّالحة والعظيمة الّتي أنزلها الله ﷻ وجعلها في أنبيائه وفي رسله اجتمعت في شخص النّبيّ محمّد ﷺ خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين، يقول ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: الهداية لا تحتاج إلى أجرٍ، النّبيّ ﷺ والأنبياء عليهم السلام قبله لم يطلبوا أجراً على إصلاح البشريّة، وإنّما هم موكّلون من قِبل الله ﷻ بإصلاح وهداية البشريّة، وهذه هي رسالتهم عليهم السلام.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾: هذا الصّراط المستقيم، وهذه الهداية الّتي وُكّل بها النّبيّ ﷺ إنّما هي ذكرى للعالمين، ولذلك سمّي القرآن الكريم ذكراً، قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]، لماذا سمّي ذكراً؟ الذّكر ضدّ النّسيان، وهو معك دائماً، لذلك سمّي القرآن الكريم ذكراً.

(الآية ٩١-) ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: القدر أي المقدار الّذي تنظر فيه، هم لم يعرفوا ولم يقدّروا الله ﷻ حقّ قدره، لذلك النّبيّ ﷺ عبّر عن هذا بأجمل وأرقى تعبير، فقال: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على**

نفسك»[1]، هذه هي العبارة الّتي علّمنا إيّاها النّبيّ ﷺ عندما نتحدّث عن عطاء الله ﷻ وعن رحمته وفضله، والله ﷻ لا يريد قصائد في المديح ولا في الشّكر، وإنّما جعل العالِم والجاهل، والأمّيّ والمثقّف يمدحونه بكلمةٍ واحدةٍ: (الحمد لله)، الّتي تجمع كلّ معاني الشّكر لله ﷻ على عطائه ونعمه الّتي أنعم بها على الإنسان.

﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾: ذُكر في سبب نزول هذه الآية: أنّه جاء رجلٌ من اليهود يُقال له: مالك بن الصّيف يخاصم النّبيّ ﷺ، فقال له النّبيّ ﷺ: «**أنشدك بالّذي أنزل التّوراة على موسى، أما تجد في التّوراة أنّ الله يُبْغِض الحَبْر السّمين؟**»، وكان حبراً سميناً، فغضب فقال: والله ما أنزل الله على بشرٍ من شيء! فقال له أصحابه الّذين معه: ويحك! ولا موسى؟! فقال: والله ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ! فأنزل الله ﷻ هذه الآية.

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾: من الّذي أنزل التّوراة على موسى عليه السلام؟ الكتب السّماويّة هي نورٌ وهدىً، والهداية هي الّتي توصل الإنسان قيميّاً وأخلاقيّاً إلى الجنّة، والنّور هو الكاشف للظّلمة، فالكتب السّماويّة تكشف ظلمات الجهل وظلمات النّفس البشريّة، وهنا استفهامٌ استنكاريٌّ ﴿مَنْ أَنزَلَ﴾؟ والجواب: الله جلّ جلاله.

﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾: أي صفحاتٍ متفرّقةٍ.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الصّلاة، باب ما يُقال في الرّكوع والسّجود، الحديث رقم (٤٨٦).

﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: يخرجون الصّفحات الّتي يريدونها، ويخفون الشّيء الّذي لا يناسبهم، وخاصّةً الأمور الّتي وافقت ما جاء به النّبيّ ﷺ والأمور الّتي ذكرت أوصافه ﷺ كما وردت في التّوراة.

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾: من خلال التّوراة الّتي نزلت على نبيّكم موسى عُلّمتم ما لم تعلموا، وأعطاكم الله ﷻ الخير الكثير من خلال هذا العلم أنتم وآباؤكم السّابقون.

﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾: دعهم يا محمّد بخوضهم، تماماً كما يخوض الإنسان في الماء فيبتلّ.

(الآية ٩٢-) ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۗ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾:

﴿وَهَٰذَا﴾: اسم إشارةٍ إلى القرآن الكريم.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾: الهمزة للتّعدّي، أي من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر]، فعندما يتحدّث المولى جلّ وعلا عن إنزال القرآن الكريم، ويكون بالهمزة، فالمقصود إنزاله من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا.

﴿مُبَارَكٌ﴾: هناك صفاتٌ متعدّدةٌ وردت لكتاب الله تبارك وتعالى، وأكثر الصّفات هي: ﴿مُبَارَكٌ﴾، قال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، وفي هذه الآية قال ﷻ: ﴿وَهَٰذَا

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾، ولتفسير كلمة: ﴿مُبَارَكٌ﴾ نضرب هذا المثال: إن جئت بطعامٍ يكفي شخصين، فجاء خمسة أشخاصٍ، فتُصاب بالدّهشة عندما تعلم أنّ هذه الكميّة القليلة الّتي لا تكفي إلّا لشخصين قد أطعمت الخمسة، فإذاً حجم العطاء أكبر من حجم البناء، والمقصود بأنّ القرآن الكريم مباركٌ، صحيحٌ بأنّه كتابٌ، لكنّ عطاءه لا ينفد، بل ممتدٌّ عبر الزّمن وعبر القرون، فلو أنّ عطاء القرآن الكريم أُفرغ في وقت النّزول لكان القرآن الكريم قد عطّل بعد قرنٍ، وأصبحت تقرأ كتاباً من الماضي، ولكنّ القرآن الكريم مُباركٌ، أي أنّ عطاءه مستمرٌّ بما اكتُنز فيه إلى يوم القيامة، فكلّما تطوّر العقل البشريّ استمدّ من كتاب الله ﷻ ما يوافق هذا التّطوّر في كلّ مكانٍ وزمانٍ، لذلك قال النّبيّ ﷺ عن القرآن الكريم: «**هو الّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرَّدّ، ولا تنقضي عجائبه...**»[1].

(الآية ٩٣-) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: لا يوجد أحدٌ أظلم ممّن افترى على الله ﷻ كذباً، كيف يفتري الإنسان على الله ﷻ الكذب؟ الجواب:

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن، الحديث رقم (٢٩٠٦).

يوجد طريقان، الطّريق الأوّل: هناك من ادّعى بأنّه نبيٌّ، وأنّه قد أوحي إليه فكذب على الله ﷻ، والطّريق الثّاني: الإنسان الّذي يقول بالقرآن بالكذب.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: لو: شرطيّة، نجد هنا (لو) الشّرطيّة لا جواب لها، والجواب يُترَك للسّامع؛ لأنّ الجواب لا حصر له وقت غمرات الموت، وهي الشّدّة الّتي لا يستطيع الإنسان منها خلاصاً، قال ﷺ: «**لا إله إلّا الله، إنّ للموت سكرات**»(١).

﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾: غمرات: سكرات وشدّة الموت.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾: باسطوا أيديهم، هذا التّمثيل لإخراج الرّوح، والله ﷻ يبيّن أنّ الملائكة عندما يخرجون الرّوح يكونون باسطي الأيدي.

﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾: أي أخرجوا أنفسكم من العذاب إن كنتم تستطيعون إلى ذلك سبيلاً، وقال بعض المفسّرين: إنّه عندما تأتي ملائكة الموت إلى الظّالمين فإنّ الرّوح تتوزّع في كلّ أجزاء الجسد، وأثناء الخروج تحاول ألّا تخرج، فتكون أكثر شدّةً من خروج الرّوح بالنّسبة للإنسان المؤمن.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: العذاب المهين الأليم.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: ومن هؤلاء النّاس من يدّعي بأنّه نزل عليه قرآنٌ، كمسيلمة الكذّاب وسجاح وطليحة و...، ومنهم من يحرّم

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب المغازي، باب مرض النّبيّ ﷺ ووفاته، الحديث رقم (٤١٨٤).

الحلال ويحلّل الحرام ويبتدع من عنده ما يريد، ويفسّر القرآن الكريم كما يحلو له، كما فعل الإرهابيّون والمتطرّفون والقتلة والمجرمون عندما أخذوا وبتروا آيات القرآن الكريم، وقالوا ما لا يعلمون، ونسبوا الأمر إلى الله ﷻ.

والله ﷻ أمر أوامر ونهى عن نواهي، وحدّ حدوداً في كتابه الكريم، وكلّف النّبيّ ﷺ بالتّشريع فقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: من الآية ٧]، فكلّ الأوامر وكلّ ما يتعلّق بالعقيدة والشّريعة والأخلاق الّتي وردت في كتاب الله ﷻ، والقصص القرآنيّ هي مُلزمةٌ للإنسان المسلم، ولا يمكن أن يأخذ ما يحلو له ويترك ما لا يحلو له، فيجزّئ الأمر.

﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: أي يقولون: لا أريد الدّين، ولا الإسلام، ويتأبّى على كلّ الأوامر الإلهيّة، فهؤلاء يجزون عذاب الهون.

(الآية ٩٤-) ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّع بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾: أي كلّ فردٍ وحده؛ لأنّه عندما خُلق الإنسان أوّل مرّةٍ خُلق فرداً أو كما خلقناكم أوّل مرّةٍ جئتمونا من غير أن يكون معكم أموالٌ ولا أتباعٌ ولا أحسابٌ ولا أنسابٌ ولا مناصب ولا أيّ شيءٍ.

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ﴾: ما خوّلناكم إمّا من أولادٍ، وإمّا

من أموالٍ، وإمّا من أتباعٍ، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨﴾ [الشّعراء]، في هذه اللّحظات يأتي الإنسان فرداً أمام الله ﷻ ليس له شفيعٌ، لذلك قال ﷻ: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾، أين الّذين كنتم تستنصرون بهم؟ أين الّذين كنتم تعتزّون بهم؟ أين المال الّذي كنتم تنفقونه من أجل إقامة الظّلم بين النّاس أو سرقتهم أو الاعتداء عليهم وانتهاك حرماتهم؟ كلّ ذلك لن يشفع لكم إلّا العمل الصّالح.

﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أي تقطّع الّذي كان يصل بينكم وبين أموالكم أو بين جاهكم أو بين أحسابكم أو بين أنسابكم.

﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: تاه وضاع.

(الآية ٩٥-) ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٩٥﴾:

﴿* إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ﴾: عندما تسمع لفظ الجلالة: ﴿ٱللَّهُ﴾ ﷻ، فاعلم بأنّه واجب الوجود، وهو الاسم الجامع لكلّ صفات الجلال والجمال، والله ﷻ له الأسماء الحسنى، وهي تعبّر عن صفاته ﷻ.

فالق: أي شاقق الحبّ والنّوى، والحبّ: هو ما لا نواة له، مثل الشّعير والقمح والأرز، أمّا النّوى: مثل البلح والمشمش والدّرّاق والخوخ، فله نواةٌ.

فبدء الحياة من فلق الحبّ والنّوى، حيث يخرج جُذيرٌ ليّنٌ ينزل في الأرض الّتي تحتاج إلى فأس حتّى تُشقّ فيشقّها، وتخرج سُوقٌ فوق التّراب.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: الله ﷻ يخرج الحيّ من الميت بكلمة:

﴿كُن﴾ لكنّه أخرج الحيّ من الميّت من التّراب، كما قال ﷻ: ﴿*مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه].

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾: قال: مخرج، ولم يقل: يخرج، هنا يوجد اختلافٌ بين يخرج وبين مخرج، وطالما وجدنا اختلافاً فهناك علّةٌ أو سرٌّ لم يعرفه الّذين فسّروا القرآن الكريم بغير علمٍ، الله ﷻ يقول: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾، عندما أراد الله ﷻ تصوير إخراج الحيّ من الميت جاء بفعلٍ مضارعٍ، أمّا عندما أراد ﷻ تصوير إخراج الميّت من الحيّ استخدم الاسم فقال: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾: مخرج مقابل فالق، اسم فاعلٍ، فأنت ترى بعينيك ذلك الإنسان ذو الهمّة والنّشاط والحركة والحياة كيف يموت بعد فترةٍ من الزّمن ويتحوّل إلى كتلة ترابٍ. فالله ﷻ استخدم الفعل المضارع؛ لأنّ الفعل يدلّ على المحذوف فقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾، فأنت لا ترى كيف يخرج الحيّ من الميّت، أمّا عندما قال: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾، استخدم الاسم؛ لأنّه يدلّ على الثّبوت، فأنت ترى كيف أنّه ﷻ يُخرج الميّت من الحيّ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾: أي إنّكم عندما ترون عظمة خلق الله ﷻ الشّمس والقمر واللّيل والنّهار والسّحاب المسخّر في السّماوات، وعندما ترون الإعجاز وآيات الله ﷻ الدّالّة على وجوده تتيقّنون به جلّ وعلا.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: فأنّى: استفهام استغراب، كيف لكم أن تفتروا وتشكّكوا وتفعلوا كلّ ذلك وأنتم ترون آثار عظمة الله ﷻ من خلال خلقه

ومن خلال ما أوجده ﷻ في هذا الكون؟ لا شكّ أنّ هذه الآية عندما نزلت لم تصادم العقل البشريّ، فعندما قُرئت في السّابق لم يكن هناك علم نباتٍ، أمّا الآن عندما تطوّر العقل البشريّ ووجد علم النّبات فقد عُلم بأنّ الشّقّ الّذي يقول الله ﷻ عنه: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ هو سبب الحياة؛ لأنّ السّويقة والجذير، الّذي يكون كخيطٍ رفيعٍ يشقّ الأرض، يخرجان منه، وهذا كلّه لم يكن معروفاً.

(الآية ٩٦-) ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾:

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: تعني شاقق الإصباح، هل هو عند طلوع الشّمس أو أنّه قبل طلوع الشّمس؟ الجواب: هو الزّمان الّذي تتوضّح فيه الأشياء أمام رؤية العين، لذلك نجد أنّ الله ﷻ من فضله على خلقه جعل الإصباح قبل خروج نور الشّمس أو ضياء الشّمس على العينين، فهذا الأمر هو من رحمته ﷻ، ويتدرّج هذا الضّوء فهو نورٌ هادئٌ يبدّد الظّلمة حتّى تطلع الشّمس، فعندما يقول ﷻ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: أي أنّه ينشقّ عن الظّلمة ليكون الإصباح؛ لأنّ الظّلمة متراكمةٌ.

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾: هناك نعمتان متتاليتان، النّعمة الأولى الإصباح وتدرّج النّهار، والثّانية اللّيل والسّكن، فمن فضل الله ﷻ علينا أنّه خلق لنا ما يقيم حياتنا، فهو يمنع عنك إشعاع الشّمس في اللّيل، وبعد تقدّم العلم وجدنا أنّ تعرّض الإنسان لأشعة التّصوير قد تسبّب له الضّرر، لذلك من

الأفضل عدم تعرّضه لمثل هذه الإشعاعات لفتراتٍ طويلةٍ، فكيف بأشعة الشّمس؟ الله ﷻ لا يعرّض الإنسان لأشعة الشّمس لمدّة أربعٍ وعشرين ساعةً، وإنّما نصف هذا الوقت، أمّا النّصف الآخر فيكون اللّيل الّذي هو سكنٌ وراحةٌ للإنسان، ليستطيع أن يمارس حياته في النّهار بنشاطٍ وهمّةٍ عاليةٍ.

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾: مرّ بنا قوله ﷻ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرّحمن]، ما الفارق؟ عندما يقول المولى ﷻ: حسبان على وزن فعلان، أي زيادةٌ في المبالغة، إذا أردنا تمثيل الأمر نمثّله بالسّاعة، فالسّاعة هي للحساب، إذاً هي حسبانٌ، تحسب السّاعات والدّقائق والثّواني، وأيضاً عندما صُنع الدّولاب والآلة الّتي تعمل فيها صُنعت بحسابٍ حتّى تؤدّي عملها، الأرض تدور دورتين: دورة يومٍ وهي أربعٌ وعشرون ساعةً، ودورة سنةٍ وهي أربعة فصولٍ، فالشّمس تحسب بها السّنة واليوم، والقمر يُحسب به الشّهر. ما بال القمر يبدو هلالاً ثمّ يعود ثمّ؟ فجعل الله ﷻ اللّيل والنّهار وحركة الأرض آياتٍ يدلّل بها ﷻ على عظمة خلقه، وتدلّ على صدق بلاغ رسول الله ﷺ عن ربّه ﷻ.

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾: العزيز: الّذي لا يُغلب، ولا يستطيع أحدٌ أن يقرّر فوق مشيئته ﷻ، والعليم: الّذي يعلم كلّ شيءٍ، وهو الّذي وضع كلّ ما يتعلّق بإمكانيّات المعيشة وإقامة الحياة الدّنيا، وهيّأ للإنسان قبل أن يُخلق الهواء والماء والشّمس والقمر والنّجوم مسخّراتٍ من أجل حياته.

(الآية ٩٧-) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾:

النّجم هو الكوكب السّاطع الّذي يضيء من ذاته، ولا يمكن أن نتخيّل السّماء من غير نجومٍ، ففي الماضي كانوا يهتدون بها في ظلمات البرّ والبحر، وليس ذلك فقط، بل هي أيضاً للحساب، وقد فصّل الله ﷻ هذه الآيات وبيّنها ووضّحها لقومٍ يعلمون.

يقول المولى ﷻ في آيةٍ أخرى: ﴿* فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقعة]، لماذا لم يقل: لا أقسم بالنّجوم؟ لأنّك عندما ترى النّجم لا ترى النّجم ذاته، بل ترى موقع النّجم، العلم اكتشف ذلك؛ لأنّ سرعة الضّوء حتّى تصل إلى عينيك يكون النّجم قد تحرّك من مكانه، لذلك ترى موقع النّجم ولا ترى النّجم، لكنّك تعتقد أنّك ترى النّجم. فالقرآن الكريم لم يصادم العقل وقت النّزول، ولم يفرغ عطاؤه، فهو صالحٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ وفي كلّ عصرٍ من العصور يستمدّ العقل البشريّ من عطاء القرآن الكريم ما يناسب هذا العقل.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: الآية تعني العجيبة، والآيات هي مجموع الكلمات في القرآن الكريم، والآيات هي العجائب.

(الآية ٩٨-) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: والله ﷻ يقول في موضعٍ آخر:

﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩﴾ [الذّاريات]، فكيف يقول: ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾؟ والجواب: أنّ الخلق كان من نفسٍ واحدةٍ، فبالاستقراء الاستدلاليّ الزّمنيّ نجد هذا، الآن في القرن الواحد والعشرين عدد سكّان الأرض تقريباً بحدود ستّة مليارات، في القرن العشرين أقلّ من ستّة مليارات، في القرن التّاسع عشر أقلّ، في القرن الثّامن عشر أقلّ، في القرن العاشر أقلّ.. وهكذا كلّما عدنا قرناً من الزّمن تناقص عدد السّكان في هذا الكون، إلى أن نصل إلى نفسٍ واحدةٍ، وهو آدم عليه السلام.

﴿فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞ﴾: لقد كنّا مستقرّين في الأصلاب، فاستودعنا الله جلّ وعلا في الأرحام، وكنّا مستقرّين في الدّنيا فاستودعنا الحقّ عزّ وجلّ في القبور، حتّى نستقرّ في الآخرة وهو الاستقرار النّهائيّ بالنّسبة للإنسان.

﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾: والآية الّتي سبقت قال فيها: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾، فما هو الفارق بين الآيتين؟ والجواب: أنّ الفقه هو فهم العلم، قد يُقال لك: إنّ هذا علم كذا لكن لا تفهمه، أمّا الفقه فهو زيادةٌ في الفهم، وهذا هو الفارق، لكن لماذا قال: يعلمون في الآية السّابقة؟ والجواب: لأنّ هذا فيما يتعلّق بعلم النّجوم، فلم يكونوا يعلمون شيئاً عن هذا الموضوع، والعلم سيتقدّم وسيعلم الإنسان حركة الكون والنّجوم والشّمس والقمر والكواكب كلّها، فليس من الضّروري أن تفهم علم النّجوم وعلوم البرّ والبحر وما يتعلّق بها، أمّا فيما يتعلّق بخلق النّفس البشريّة فهذا العلم لا بدّ من فهمٍ له، أن تفهم بأنّك كنت مستقرّاً في

الأصلاب، واستودعت في الأرحام، وأنّك تسكن في الدّنيا وستودع في القبور وستنتقل إلى علّام الغيوب، فهذا يحتاج إلى فقهٍ، إلى علم مع فهمٍ، وهذا الفارق بين الآيتين.

(الآية ٩٩-) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: عندما تقدّم العلم علمنا أنّ الماء الّذي ينزل من السّماء مصدره الأرض، فالبحار والمحيطات المائيّة تشكّل ثلاثة أرباع الكرة الأرضيّة، فهي أكبر من مساحة اليابسة، وتقوم الشّمس بتبخير المياه، وعندما يمرّ هذا البخار بطبقات هواءٍ معيّنةٍ يتشكّل السّحاب، بعد ذلك ينزل المطر بعمليّةٍ دقيقةٍ لا يعلم كنّهها إلّا الله ﷻ.

﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ﴾: ما معنى نبات كلّ شيءٍ؟ أيّ نبات كلّ شيءٍ حيٍّ ترونه، أو نبات كلّ شيءٍ حتّى الحجر، فكلّ شيءٍ له حياةٌ، لماذا قال: فأخرجنا، ولم يقل: فأخرج؟ الجواب: لاعتقادك عند خروج النّبات أنّك أنت من زرع وحرث، فأنت الّذي تُخرج، لذلك قال: (فأخرجنا)، أي نحن، ومن خلال أسبابنا في الأرض أخرجنا.

﴿فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا﴾: خضراً هل هو اللّون الأخضر؟ لماذا قال خضراً؟ هو لونٌ أخضر ومعه غضاضةٌ، اللّون للعين أخضر، والغضاضة

للمس لطراوته يسمّونه خضراً.

﴿نُخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا﴾: الحبوب كالقمح والشّعير والأرز والعدس والفول، متراكباً: أي مرصوصاً متسانداً.

﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا﴾: الطّلع هو أوّل شيءٍ يبدو من ثمر النّخل، الكوز الأخضر ينشقّ فيخرج منه ما يسمّى بالعزق أو العرجون، وهو الجزء الّذي توجد فيه الشّماريخ الّتي يتعلّق بها البلح، فإذاً الطّلع هو الكوز الأخضر للنّخل قبل أن ينشقّ ويطلع منه القنوان.

ويُطلَق الطّلع مرّةً على الأكمام أو الكمّ كما يسمّونه، وموجودٌ بداخله السّماط، ومرّةً على الثّمار ذاتها، ويقول الله ﷻ في آياتٍ أخرى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠﴾ [ق].

﴿قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾: القنوان هي السّباطة بالنّخل تراها دانيةً على الأرض، من الّذي أدناها هكذا؟ وتجد بعضها غير دانٍ لتعرف أنّ الله ﷻ ذلّلها.

﴿وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾: الجنّات هي البساتين كثيفة الأشجار، الّتي تستر ما تحتها، وأشجار النّخل والعنب والزّيتون والرّمّان أربعٌ مباركاتٌ ذُكِرنَ في هذه الآية، نحن نشاهد الشّماريخ، وكلّ شمروخٍ فيه عددٌ من البلح يتدلّى بشكلٍ هندسيٍّ عجيبٍ، والأعناب لها ألوانٌ وأنواعٌ متعدّدةٌ، بعضها حامضٌ، وبعضها حلوٌ، بوقته وبغير وقته، مع أنّ الماء ذاته والتّربة ذاتها.

﴿مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾: هذا مشتبهاً وغير متشابهٍ، فبعضها تجدها

بلونٍ وأخرى تجدها بلونٍ آخر، وكذلك طعمها فهو مختلفٌ، هذا حامضٌ وهذا حلوٌ، وكلّه يُسقى من ماءٍ واحدٍ.

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾: ينعه: أي وصلت إلى النّضج، تنتظره إلى أن ينضج لتقطفه، فعند نضوجه يختلف طعمه، وله أيضاً منظرٌ جميلٌ، فالله ﷻ جعل لك هذه الأشجار وهذه النّباتات ليس من أجل الغذاء فقط، وإنّما لتمتّع بصرك برؤيتها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: ذلك: اسم إشارةٍ، ذلكم مجموع، في كلّ ما ذكرت (آيات) دلائل وعجائب لقومٍ يؤمنون بالله ﷻ، هذه الآيات تدلّ على الإيمان بالله ﷻ، فإذا أردت أن تؤمن به ﷻ فانظر إلى آثار خلقه ﷻ، فأنت ترى من خلال هذه الآيات الّتي مرّت بنا بديع صنع الله ﷻ.

(الآية ١٠٠-) ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتَۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾:

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ﴾: الجنّ: مادّةٌ من الجيم والنّون وتعني السّتر، سمّوا بذلك؛ لأنّهم مستورون عن أعين البشر، وليس كلّ ما لا ندركه غير موجودٍ، والجنّ مخلوقاتٌ من خلق الله ﷻ، وهم مكلّفون مثلنا بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذّاريات]، وقد أراد الله ﷻ أن يبيّن للنّاس أنّ القضيّة الأساسيّة هي الشّرك بالله ﷻ، وليست بمن تُشرك، إن كان بالجنّ أو بالملائكة أو بالأصنام أو بالشّمس أو بالقمر.. فقال جلّ

وعلا: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾، ولم يقل: (وجعلوا الجنّ شركاء لله)،

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾: لأنّ الله ﷻ هو الخالق، فإذاً لا يكون له شريكٌ من خلقه.

﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ﴾: خرقٌ: معناه إيجاد فجوةٍ في الشّيء، خرقوا: أي اختلقوا، كذباً متعمّداً.

﴿بَنِينَ وَبَنَٰتٍۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي لا علم لهم بما يتعلّق بصفات الله ﷻ، ولا بأفعاله، ولا بذاته ﷻ.

إذاً هم اختلقوا له بنين وبنات، سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

(الآية ١٠١-) ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: بديع خلق على غير مثالٍ سابقٍ، فإن أردنا تقريب الأمر، عندما نصنع شيئاً يكون له في مخيّلتنا مثالٌ فنصنعه وفق هذا المثال، فإن أردنا أن نصنع كوباً فنستحضر في أذهاننا شكل الكوب لنصنع كوباً ونزيّنه، أمّا البديع فهو الّذي يخلق على غير مثالٍ سابقٍ.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾: فطالما أنّه ﷻ بديعٌ، أوجد السّماوات والأرض على غير مثالٍ سابقٍ، فلا يمكن أن يطرأ عليه الابن أو الابنة أو الصّاحبة؛ لأنّ هذا يُنقص من صفات الكمال، وأيّ ولدٍ أو صاحبةٍ لله ﷻ كما ادّعوا، سبحان الله وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، فهو طارئٌ يطرأ، والله ﷻ لا يطرأ عليه شيءٌ.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾: ليس فقط خلق كلّ شيءٍ، بل هو بكلّ شيءٍ عليمٌ، كلّ شيءٍ في هذا الوجود من السّماوات والأرض والملائكة والجنّ والإنسان والشّجر والنّبات والحيوان والإنسان، فسبحانه بديع السّماوات والأرض، وهو الخالق جلّ وعلا، لا يغيب شيءٌ عن علمه ﷻ.

(الآية ١٠٢-) ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾:

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾: الله ﷻ واجب الوجود، أي توجب الطّاعة الألوهيّة والرّبوبيّة، والرّبّ: هو المربّي والمعطي والمنعم، والإله: هو المعبود المُطاع، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ هي شهادة الذّات للذّات، وهذه أعظم شهادةٍ على الإطلاق، يقول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران]، الله ﷻ شهد هو أوّلاً بأنّه لا إله إلّا هو، فهذه الشّهادة هي شهادة الذّات للذّات، وهي أكبر من أيّ شهادةٍ أخرى، لذلك قال بعد أن بيّن كلّ الآيات والحجج والدّلائل، مَن فالق الحبّ والنّوى، وفالق الإصباح، بعد كلّ هذه الآيات قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾، إذاً أنت تتعرّف على الله ﷻ من خلال خلقه.

﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: هو خلق كلّ شيءٍ، فلا يمكن لمخلوقٍ أن ينازعه في المُلك.

﴿فَٱعۡبُدۡهُۚ﴾: أي أطيعوه، وطاعة الله ﷻ في كلّ عملٍ، فكلّ خيرٍ تؤدّيه في هذه الحياة هو عبادةٌ، تبسّمك في وجه أخيك عبادةٌ وصدقةٌ، إماطة الأذى عن الطّريق عبادةٌ وصدقةٌ، إن أحسنت في عملك فهي عبادةٌ، الفلاح في حقله إن فلح وحصد وزرع وأحسن فهو في عبادةٍ، العامل في مصنعه إذا أحسن فهو في عبادةٍ، الجنديّ في جبهته إن قاتل ودافع فهو في عبادةٍ، إذاً العبادة تشمل كلّ نواحي الحياة، لذلك نقول: العبادة هي منهجٌ، هي طاعةٌ لله ﷻ، وليست كما يعتقد بعض النّاس أنّها إقامة أركان الإسلام فقط؛ لأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**بُني الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وإقامِ الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والحجّ، وصوم رمضان**»[1]، ولم يقل: إنّ الإسلام هو خمسٌ فقط، شهادتان وصلاةٌ وزكاةٌ وصيامٌ وحجٌّ، هذه أركان.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾: الوكيل: الّذي يتصرّف لك بأمورك، لكن هذا يكون وكيلٌ لك، أمّا الله ﷻ فيكون وكيلاً عليك، وهذا هو الفارق، فهو يتصرّف بكلّ شيءٍ، وهو فوق كلّ شيءٍ، ويدبّر أمر كلّ شيءٍ في هذه الحياة.

(الآية ١٠٣-) ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾:

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النّبيّ ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**»، الحديث رقم (٨).

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾: الأبصار: جمع بصائر، والبصر آلة إدراكٍ لها قانونٌ، لكنّ الإدراك هو الإحاطة، قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾ [الشّعراء: من الآية ٦١]، أي أُحيط بنا، ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي إنّك لا يمكن أن ترى الله ﷻ في الحياة الدّنيا، ولو أدركته لحدّدته، والقادر لا ينقلب مقدوراً.

﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾: الله ﷻ يحيط بكلّ شيءٍ، يحيط بالنّاس والأبصار؛ لأنّ البصر هو عبارةٌ عن آلةٍ لها قانونٌ، تستطيع أن ترى عبر مسافةٍ معيّنةٍ، لكن إذا فصلتْ بينك وبين الجسم الّذي أمامك مسافةٌ فإنّك لن تراه، مع أنّه موجودٌ؛ لأنّ الإبصار هو عبارةٌ عن إشعاعٍ يخرج من الشّيء المبصَر إلى العين فتراه ضمن قانونٍ، فالله ﷻ لا يمكن أن تدركه الأبصار أبداً، ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾؛ لأنّه هو خالق الأبصار.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾: الله ﷻ لطيفٌ بعباده، اللّهمّ إنّا نسألك اللّطف الخفيّ، اللّطف الإلهيّ هو: إذا ناديته لبّاك، وإذا قصدته آواك، وإذا أحببته أدناك، وإذا أطعته كفاك، وإذا أعرضت عنه دعاك، وإذا أقرضته من ماله عافاك، هذا جزءٌ من اللّطف، هذا اللّطف يكون في المنح وفي المنع، اللّهمّ إنّا لا نسألك ردّ القضاء، ولكن نسألك اللّطف فيه، هذا هو معنى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾، وهذا ما نسمّيه اللّفّ والنّشر، فلا تدركه الأبصار؛ لأنّه لطيفٌ، ويدرك الأبصار؛ لأنّه خبيرٌ.

(الآية ١٠٤-) ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾:

كان يتحدّث عن الأبصار، والآن يتحدّث عن البصائر:

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾: ما الفارق بين البصائر والأبصار؟ البصائر: جمع بصيرة، وهي للمؤمن فقط؛ لأنّها تتعلّق بالقلب، وتكون للإشراقات والمعنويّات والقلب، فنور القيم لا يأتي إلّا للقلب، أمّا الأبصار: فهي للعين، وتكون للمؤمن والكافر والنّاس كافّةً.

﴿رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾: لأنّ الإنسان لن يكون له إلّا جزاء العمل، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النّجم].

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: الحفيظ: اسمٌ من أسماء الله الحسنى، أي يحفظكم من الشّرك، فقل يا محمّد: أنا لست عليكم بحفيظٍ ولست عليكم بجبّار: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية].

(الآية ١٠٥-) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾:

﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نقلّب، أي نقلّب الآيات، نبيّن الآيات، نوضّحها، أي كلّ ما يتعلّق بالآيات الكونيّة والآيات القرآنيّة الموجودة والمبثوثة في هذا الكون.

﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾: ويقولون درست: هم قالوا: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ

﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النّحل]، فاتّهموا النّبيّ ﷺ بأنّه تعلّم هذا القرآن الكريم تعليماً، وليس من ربّه ﷻ.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾: فالنّبيّ ﷺ مكلّفٌ بالتّشريع، وهو يبيّن ما نزل، كما قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النّحل: من الآية ٤٤]، فأيّ بيانٍ من غير النّبيّ ﷺ لا يمكن أن يؤخذ به، ويُضرب به عرض الحائط.

(الآية ١٠٦-) ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِىَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾:

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِىَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾: أي داوم وتابع واستمرّ، والوحي: هو الإعلام بخفاءٍ، فاستمرّ ولا تلتفت إليهم، ولا تحزن عليهم، ولا تكن في ضَيقٍ ممّا يمكرون يا محمّد.

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: أعرض عنهم، ولا تجلس معهم، بلّغهم وأعرض عنهم، فأنت لم تؤمر بأن تقاتلهم ليؤمنوا.

(الآية ١٠٧-) ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ ۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾﴾:

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ ۗ﴾: هذه قضيّةٌ يجب أن تكون دائماً أمام أعيننا، أي كافرٍ لم يكفر قهراً عن الله ﷻ، وإنّما لأنّ الله ﷻ أرخى له الزّمام بالاختيار، فلا نجبر النّاس، ولا نكلّف أنفسنا أكثر ممّا كلّفنا المولى

تبارك وتعالى، فنحن لا نريد أعناقاً ولا قوالبَ، نحن نريد قلوباً وهذا هو الأساس من هذه الآية الّتي نتحدّث عنها الآن، ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: الله ﷻ وكيلٌ، والله ﷻ حفيظٌ، أنت لست حفيظاً عليهم، ولست وكيلاً عليهم، وإنّما أنت مذكّرٌ لهم يا محمّد، وهذا هو أساس الدّعوة إلى الله ﷻ، وهذه الآية مرتبطةٌ بالآية الّتي تليها بطريقة الدّعوة إلى الله ﷻ الّتي حدّد القرآن الكريم معالمها.

(الآية ١٠٨-) ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾:

هذه الآية هي حجّةٌ بالنّسبة للدّعوة إلى الله ﷻ وإلى مبادئ وشريعة الإسلام، وقد بيّن الله ﷻ في هذه الآية طريق الدّعوة إليه بأنّه لا يكون بالشّجار والخصام والقهر والكلام البذيء والسّباب، لذلك يقول ﷻ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لماذا؟ حتّى لا يتجاوزوا فيسبّوا الله جلّ وعلا ﴿عَدْوًۢا﴾ وهو تجاوز الحدّ؛ لأنّهم قد أشركوا بالله ﷻ، فعليك أن تقدّم النّصيحة بشكلٍ مقبولٍ بالنّسبة للنّاس، لتغيير ما ألفوا عليه من عاداتٍ، فلا بدّ من الحوار، أمّا الشّتائم والقهر والقوّة والعنف والعدوان فهي ليست الطّريق، لذلك نقول: الإسلام هو دين اللّطف، وليس دين العنف، فكلّ الاتّهامات الّتي توجّه لديننا الإسلاميّ هي باطلةٌ، فالله تبارك وتعالى بيّن بشكلٍ قاطعٍ بأنّ طريق الدّعوة هو: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ

﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النّحل: من الآية ١٢٥]، وليس بالّتي هي أسوأ، حتّى لو سبّوا.

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾: التّزيين: هو جمال العرض للاستمالة والانجذاب، قال ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾ [الكهف]، فبالنّسبة لأمّة محمّد بن عبد الله ﷺ فالتّزيين والعمل يكونان من خلال النّقاش الواقعيّ والعلميّ، وعدم الدّخول في المهاترات، وعدم السّباب حتّى لو كنتم تعلمون أنّكم على حقٍّ، حتّى لا يتجاوزوا حدودهم في نقاشهم معكم كما بيّن المولى ﷻ.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ﴾: فالمرجع إلى الله ﷻ.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: هو الّذي ينبّئ الإنسان عندما تنشر الصّحف، وهو من سيحاسب النّاس على العقائد، فكلّ الادّعاءات بأنّ الدّين الإسلاميّ يلغي الآخر باطلةٌ بموجب هذه الآية.

(الآية ١٠٩-) ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩﴾:

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ﴾: أي كلّفوا أنفسهم كثيراً بالحلف بأنّهم لو جاءتهم آيةٌ ليؤمنوا بالله ﷻ، فقالوا: أنزل من السّماء آيةً كي نراها، كلّم الموتى، افعل أيّ شيءٍ يكون فيه معجزةٌ حتّى نؤمن، وهنا ستجد بأنّك أمام مشهدٍ لهؤلاء الّذين أشركوا بالله ﷻ، والّذين أُغلقت أبصارهم وقلوبهم عن الإيمان بالله ﷻ، فكأنّ المولى ﷻ يقول لهم:

نحن لا نريد أعناقاً تخضع ولكنّنا نريد قلوباً تخشع.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لننظر إلى دقّة كلام الله ﷻ والفارق بينه وبين كلام البشر، قال ﷻ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ولم يقل: (يؤمنون)؛ لأنّ هذا كلام ربٍّ لا كلام عبدٍ، هذا القرآن العظيم هو كلام الله ﷻ، والله ﷻ لا يوجد لديه زمنٌ، فأراد ﷻ أوّلاً أن يعطي جواباً للفئتين لفئة المؤمنين الّذين قالوا: ربّما ينزّل الله ﷻ آياتٍ ومعجزاتٍ فيؤمن هؤلاء، فيعطيهم ﷻ الجواب: هؤلاء لا يؤمنون ابتداءً لذلك قال ﷻ: في بداية سورة (البقرة): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة]، لماذا؟ الجواب: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة]، إذاً هناك ختمٌ مطبوعٌ على قلوبهم، فالله ﷻ يعطيك النّتيجة بأنّهم لا يؤمنون، فإيّاكم أن تقولوا: بأنّه لو نزلت آيةٌ لآمن بعضهم، فهم لا يؤمنون حتّى لو نزلت معجزةٌ من السّماء؛ لأنّه قد خُتم على قلوبهم، فالله تبارك وتعالى مطّلعٌ على قلوبهم بأنّهم لا يؤمنون، فعندما يعطي الجواب يعطي جواب إلهٍ، ولا يعطي جواب بشرٍ، والجواب للفئتين، والله ﷻ مطّلعٌ بأنّهم منذ البداية أغلقوا قلوبهم عن الإيمان بالله ﷻ فأعطى جواباً قطعيّاً خبريّاً مستمرّاً.

(الآية ١١٠-) ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾:

كان النّبيّ ﷺ يقول: «**إنّ قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من**

أصابع الرّحمن كقلبٍ واحدٍ يصرّفه حيث يشاء»، ثمّ قال رسول الله ﷺ: **«اللّهمّ مصرّف القلوب، صرّف قلوبنا على طاعتك»**[1]، فإذاً قلّب الله تعالى قلوبهم.

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: ولو جاءتهم كلّ آيةٍ فلا يؤمنون، كما حيل بينهم وبين الإيمان أوّل مرّة، والإيمان هو قناعةٌ عقليّةٌ وهدايةٌ قلبيّةٌ، فإذاً لا تكفي القناعة القلبيّة دون أن يكون هناك انشراحٌ قلبيٌّ.

﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: طغى: تجاوز الحدّ.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: العمه أي التّردّد، يتردّدون في حيرتهم حول الإيمان، فهم دائماً في شكٍّ، والعمه يستخدم للقلوب، أمّا العمى فهو للأبصار الّتي لا ترى النّور.

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله ﷻ القلوب كيف شاء، الحديث رقم (٢٦٥٤).

تَمَّ بِفَضْلِ اللهِ تعالى تَفْسِيرُ الجزْءِ السَّابع

اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ على كلِّ نِعمةٍ أنعمتَ بها علينا في قَديمٍ أو حَديثٍ، أو خاصَّةٍ أو عامَّةٍ، أو سرٍّ أو عَلانية، لكَ الحمدُ بالإسلامِ، ولَكَ الحمدُ بالإيمانِ، ولكَ الحمدُ بالقرآنِ، ولكَ الحمدُ بالمالِ والأهلِ والمعافاةِ.

اللَّهمَّ ارْفَعْنا بالقُرآنِ في دَرَجِ الجِنَانِ، وارْفَعْ عَنَّا بِفَضْلِهِ الأحْزانَ، وزوِّدْنا بِفَضْلِهِ مِنَ الخَيراتِ الحِسانِ، وَضَاعِفْ لَنا الأُجُورَ بِرَحْمَتِكَ وإحْسَانِكَ يا وَاهِبَ المِنَنِ الحِسَانِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِقُرْآنِكَ خَاشِعِينَ، وَبِلَيلِكَ قَائِمِينَ رَاكِعِينَ سَاجِدِينَ، وَبِعِبَادَتِكَ مُخْلِصِينَ، وَلِحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ تابِعِينَ، وبِحبِّكَ وَاصِلِينَ، وَلِجَنَّتِكَ مُسْتَحِقِينَ، وَلِوَجْهِكَ الكَرِيمِ نَاظِرِينَ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

سُبحانَ ربِّك رَبِّ العزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وسَلامٌ عَلى المُرْسَلِينَ، والحمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

فهرس

رقم الآية – نصّ الآية رقم الصّفحة

تفسير سورة (المائدة) من الآية: (٨٢–١٢٠):

٨٢- ﴿*لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ٩

٨٣- ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ١١

٨٤- ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ١٣

٨٥- ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ١٣

٨٦- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ ١٤

٨٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ١٥

٨٨- ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ١٧

٨٩- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ ١٧

٩٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ ٢٠

٩١- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ ٢٤

٩٢- ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ ٢٦

٩٣- ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ ٢٨

٩٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

..... ٣٢
٩٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا
فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ
طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ
وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٩٥﴾ ٣٣
٩٦- ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ
مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩٦﴾ ٣٥
٩٧- ﴿*جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ
وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧﴾ ٣٧
٩٨- ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ ٤١
٩٩- ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩﴾ ٤١
١٠٠- ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾ ٤٣
١٠١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا
حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١﴾
..... ٤٤
١٠٢- ﴿قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾ ٤٥
١٠٣- ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ٤٦

١٠٤- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ ٤٨

١٠٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ ٤٩

١٠٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ ٥١

١٠٧- ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ ٥٣

١٠٨- ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ ٥٤

١٠٩- ﴿*يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ ٥٤

١١٠- ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ
بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ
تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

..... ٥٥

١١١- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ۖ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ
بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ ٥٨

١١٢- ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا
مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ ٥٨

١١٣- ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ
عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ ٥٩

١١٤- ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا
لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ ٦٠

١١٥- ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ
أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ ٦٠

١١٦- ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ
ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا
فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ ٦١

١١٧- ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا

دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾
..... ٦١
١١٨- ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾
..... ٦٢
١١٩- ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ ٦٢
١٢٠- ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾
..... ٦٣

تفسير سورة (الأنعام) من الآية: (١-١١٠):

١- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ ٦٨
٢- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾
..... ٧٢
٣- ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾
..... ٧٥
٤- ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾
..... ٧٨
٥- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾﴾
..... ٧٨

٦- ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ٦﴾ ٧٩

٧- ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٧﴾ ٨٠

٨- ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨﴾ ٨١

٩- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ٩﴾ ... ٨١

١٠- ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ١٠﴾ ٨٢

١١- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١١﴾ ٨٢

١٢- ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢﴾ ٨٣

١٣- ﴿*وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣﴾ ٨٤

١٤- ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٤﴾ ٨٥

١٥- ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ ٨٨
١٦- ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ ٨٨
١٧- ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ ٨٩
١٨- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ ٩٠
١٩- ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ ٩١
٢٠- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ٩٣
٢١- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ ٩٤
٢٢- ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ٩٥
٢٣- ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ٩٦
٢٤- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ٩٦
٢٥- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ٩٧

٢٦- ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾
..... ١٠٠
٢٧- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧﴾ ١٠٠
٢٨- ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾
..... ١٠١
٢٩- ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾ ١٠١
٣٠- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠﴾ ١٠٣
٣١- ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾
..... ١٠٣
٣٢- ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ ١٠٥
٣٣- ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾ ١٠٦
٣٤- ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤﴾ ١٠٨
٣٥- ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي

ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ ١١٠

٣٦- ﴿* إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ١١٠

٣٧- ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ١١١

٣٨- ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ ١١٢

٣٩- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾﴾ ١١٣

٤٠- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ ١١٥

٤١- ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ ١١٥

٤٢- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ١١٦

٤٣- ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ١١٦

٤٤- ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ١١٦
٤٥- ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ١١٧
٤٦- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ١١٧
٤٧- ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ١١٨
٤٨- ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ١١٨
٤٩- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ١٢٠
٥٠- ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ١٢١
٥١- ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ ١٢٢
٥٢- ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ ١٢٣

٥٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ ١٢٤
٥٤- ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ ١٢٥
٥٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾ ١٢٦
٥٦- ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ ١٢٨
٥٧- ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧﴾ ١٢٨
٥٨- ﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٥٨﴾ ١٢٩
٥٩- ﴿* وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ ١٣٠
٦٠- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠﴾ ١٣٣

٦١- ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١﴾ ١٣٥
٦٢- ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾ ١٣٧
٦٣- ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣﴾ ١٣٨
٦٤- ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤﴾ ١٣٩
٦٥- ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ ١٤٠
٦٦- ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦﴾ ١٤١
٦٧- ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧﴾ ١٤٣
٦٨- ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ ١٤٤
٦٩- ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٦٩﴾ ١٤٤
٧٠- ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن

تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ
شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ ١٤٥
٧١- ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ
هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ
يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ ١٤٧
٧٢- ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢﴾ ١٤٩
٧٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ
ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ
ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣﴾ ١٥١
٧٤- ﴿* وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ
مُّبِينٖ ٧٤﴾ ١٥٣
٧٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ ١٥٥
٧٦- ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ
ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ ١٥٦
٧٧- ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ
ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾ ١٥٧
٧٨- ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي

بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ١٥٨
٧٩- ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ ١٥٨
٨٠- ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ ١٥٩
٨١- ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ ١٦٠
٨٢- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ١٦١
٨٣- ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾ ١٦٢
٨٤- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ١٦٣
٨٥- ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ١٦٤
٨٦- ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ .. ١٦٤
٨٧- ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ

مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ﴾ ١٦٥
٨٨- ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ ١٦٦
٨٩- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ
وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ ١٦٧
٩٠- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا
ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ ١٦٧
٩١- ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ
وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾
..... ١٦٨
٩٢- ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ
وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ ... ١٧٠
٩٣- ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ
سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ ١٧١
٩٤- ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ
وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ

عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ١٧٣
٩٥- ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ
فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ١٧٤
٩٦- ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ١٧٦
٩٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ١٧٨
٩٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ١٧٨
٩٩- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ
وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ١٨٠
١٠٠- ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ١٨٢
١٠١- ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ
شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ١٨٣
١٠٢- ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ١٨٤

١٠٣- ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ ١٨٥

١٠٤- ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ ١٨٦

١٠٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ ١٨٧

١٠٦- ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ ١٨٨

١٠٧- ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ ١٨٨

١٠٨- ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ .. ١٨٩

١٠٩- ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ ١٩٠

١١٠- ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ ١٩١

تضرّع ودعاء ١٩٣

فهرس: ١٩٥